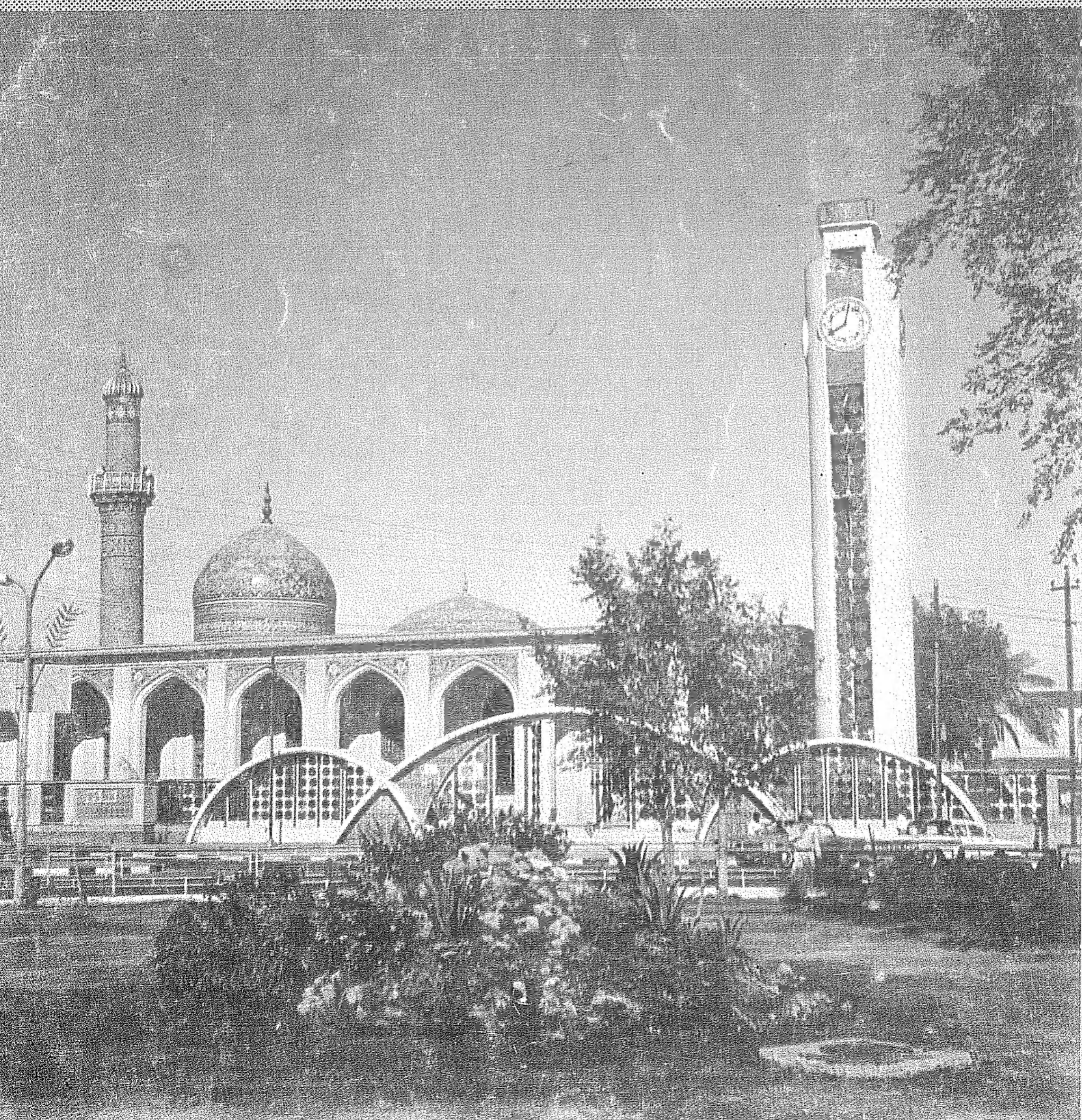
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

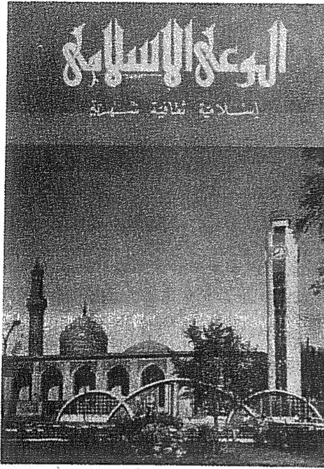
السنة الثالثة — العدد الرابع والثلاثون — غرة شوال سنة ١٣٨٧ هـ — أول يناير سنة ١٩٦٨ م





سمو الأمير المعظم يقابل بالبشاشة وبعاطفة الأبوة جموع المواطنين الذين وفدوا الى الديوان الأميرى لتهنئة سموه بحلول شهر رمضان المبارك .

صورة الغلاف



« صورة لمسجد الامام الاعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه بمنطقة الاعظمية في بغداد »

تصوير « عزمت شيخ »

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الرابع والثلاثون

ـ السنة الثالثة ـ

غرة شوال سنة ١٣٨٧ هـ

أول يناير سنة ١٩٦٨

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار

في الخليج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترليني)

أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت



أخي القارئ

بسم الله الرحمن الرحيم

عيد !! بأية حال عدت يا عيد ؟

وجواب السؤال نعرفه ونحسه ونعيش فيه .. والعيد يوم يعود لنا كل عام ، نستقبله بالبشر والسرور كما نستقبل المسافر الحبيب عندما يعود .. وهو كذلك في ظاهره للناس .. ولكنه قد يكون عند بعضهم مثيرا لذكريات مرة .. يلبس أهلها السواد ، ويعلوهم الاكتئاب ، وتتساقط دموعهم ، وتتفطر قلوبهم على عزيز فقدوه ، أو عائل لهم لم يجدوه .. أو حال طرأ عليهم لم يتعودوه ..

ولقد عشنا كثيرا من الأعياد .. كنا صغارا ننتظر قدومها ، لنفرح بها ، لا يهمنا الا لبس الجديد ، ومصروف العيد .. كنا نعيش باحساسنا الذاتي القاصر ، فلا يمتد خارج نفوسنا ، ولا يعنى بأمر غير أمرنا .. ولربما كنا نفرح ونقفز هنا وهناك ، مزهوين بما نلبسه من جديد ، وما تعمر به جيوبنا من نقد غير معهود ، ومن حولنا من الكبار مهمومون بأمورهم ، غارقون في شجونهم !

حتى اذا كبرنا وفهمنا ، وأدركنا مسئولياتنا ، ونما فينا الاحساس الجماعي ، تحول العيد في نفوسنا من مظهر الى مخبر ، ومن مادة الى معنى ، واتسعت دائرته ، فلم تعد كما كانت تشخصنا ، أو حتى تشخص المحيطين بنا من أهلنا ، أو من جيراننا وسكان قريتنا ، بل امتد قطرها وترامت أطرافها ، حتى ضمت كل انسان جمعتني به عقيدة ، أو وصلني به أمل أو ألم ، وصرت كلما جاء العيد لا أنظر الى ما ألبسه من الثياب ، ولا الى ما في جيبي من المال .. ولكني أنظر الى من حولي ، ومن اتصل بهم احساسي وقلبي ، وأعيش معهم في يوم العيد ، قريبين كانوا أم بعيدين ..

هذا معنى أدركته ، وغذاه الاسلام في نفسي وقواه ، حين علمني أن المسلمين جسد واحد ، اذا اشتكى بعضه اشتكى كله .. فما مر على عيد الا تذكرت فيه المحرومين من مباهجه ، وشعرت — وأنا أرى البعض منا يمرحون ، ويتيهون بما يملكون أو بما يلبسون — أن الأمة الاسلامية في عيدها تلبس ثوبا مرقعا ، وتمشي بين الأمم تتوكأ على عصا !!

فكيف اذن تشعر بالعيد ، وتحس الفرحة به كلما عاد ؟ !

ان الأسرة فينا حين تفقد عزيزا عليها ، ويمر على فقدانه شهور ، يأتي العيد فيذكرها به ، ويوقظ مصيبتها فيه ، ويجدد حزنها عليه . فتتحاشى مظاهر العيد السارة . وربما تهيأت لاستقبال المعزين فيه من جديد ..

بينما ترى أطفالها حولها يمرحون ، لا يشعرون بشيء مما يعانيه الكبار ..

ولقد كان أجدادنا العرب قديما — اذا أصيبوا بنكبة — يحرمون على أنفسهم كل أنواع المتع ، ويمضون أيامهم كلها يفكرون ، ويعملون للانتقام لأنفسهم ، حتى تتهيأ لهم الفرصة ، فينقضوا على عدوهم ، ويأخذوا بثارهم ، ويستردوا مكانتهم .. وحينئذ يفرحون ، ويعوضون بفرحتهم في أيام — بل في لحظات — تلك الأيام الحزينة التي مرت بهم .

فكيف اذن نستقبل نحن العيد الآن ؟

ان طريقة استقبالنا له ، هي في الحقيقة امتداد مضاعف لطريقة حياتنا الأيام والشهور قبله ، وكلاهما يعكس صورة تفاعلنا مع أحداثنا ، ومدى

احساسنا بهذه الحوادث ، وتاثيرها على مجرى حياتنا .. ثم هى فى النهاية تعبير صادق على ما وصلنا اليه من نضج ، وما حصلنا عليه من وعى ، وما نتخذه من مقاييس لتقييم حياتنا ، وما يعترضنا فيها من عقبات او نوازل .

ان أى انسان يمكن أن نزنه وزنا دقيقا بكيفية تلقيه لاحداثه ، وتصرفاته ازاءها .

فهناك من تفقده الأحداث صوابه ، ويصاب بصدمة يختل فيها توازنه ، فلا يعود صالحا للعيش فى تيار الحياة فيعزل عنها فى مصح ، يسترد فيه اعصابه وتوازنه ، أو يقضي عليه فيه ..

وهناك كذلك من تفقده الفرحة توازنه ، فلا يتصرف تصرف العقلاء ، ولكنه يشتط هناك وهناك ، وقد يكون مصيره كذلك الى المصح للعلاج .

وهناك عدا هذا وذاك ، انسان يعلو بعقله واتزانه وارادته على مستوى الأحداث ، فيملكها ولا تملكه ، ويسيرها ولا تسيره ، ويظل صاحب السيطرة عليها ، لا تذهب الصدمة بلبه وعقله ، ولا تطغيه الفرحة او تسوقه للاستهتار .

والأمم فى ذلك كالأفراد ..

فاذا كان الانسان الذى ينطلق بالضحك والقهقهة ، ويعنى بزينته ومباذله في جو الحزن والكآبة . او اذا كان الانسان الذى ينفجر بالبكاء والصراخ ، ويلتزم مظاهر الحداد في جو الفرح والسرور ، اذا كان هذا أو ذاك انسانا شاذا غير متلائم مع طبيعة الأمور ، ولا مع منطقها ، وهو الى الجنون اقرب منه الى العقل ، فان الأمة التى تقيم الأفراح وتنصرف الى الملاهي ، وتعكف على الملذات ، وهي مصابة في سمعتها وكرامتها ورجولتها هى أمة فاقدة الرشد ، مسلوبة الوعي ، وهي تمثل بموقفها هذا دور الصبي الذى فقد اباه ، وخيم على بيته جو الكآبة والحزن ، وملأه الصراخ والعويل ، فلم يدرك شيئا من ذلك ، بل انطلق الى لعبه واخذ يلعب بها ، ويجمع اقرانه كما كان يجمعهم كل يوم ، ليلهوا معا ويلعبوا ، ويجروا هنا وهناك وسط الباكين والمعزين .. دون أن يدرك الصبي ما حل به ، وبمستقبله ومصيره بعد مصيبته في أبيه !!

اخى .. هل نرضى لأنفسنا أن نكون امة على شاكلة هذا الطفل ؟

.. ثم هل تضيق ذرعا بهذه النغمة الجادة الحزينة في يوم العيد ؟

لا يا أخى ، لا تضق .. فانت مسلم عربى لا ترضى الهون ، ولا تقعد بك همتك عن معالي الأمور ، ولا تقبل ان تظل حيا تلعق الصبر ، وتسمع من هنا وهناك شماتة الشامتين ، وتفاخر هؤلاء الأراذل الأفاكين . ولطالما تغنيت بقول شاعرنا :

عش عزيزا او مت وانت كريم ... تحت طعن القنا وخفق البنود

الا وان للكرامة ثمنها الغالى ، لا يدفعه فرد ، ولا دولة من دول المسلمين وحدها ، وانما يدفعه المسلمون جميعا ، والعرب في مقدمتهم بذلا وتضحية ، وهم ان صدقوا الله صدقهم ، وان نصروه أعزهم ..

ماذا يقول بعضنا لبعض فى يوم العيد ، وقلوبنا مجروحة . واخواننا فى العراء ، وارضنا محتلة ؟ !

تذكر هذا كله وانت تصافح اخاك ، وتذكر معه اسلافا لك كانوا رجالا مؤمنين ، اشاد الله بهم ، وهو يقول عنهم :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

وانتظر معي يوم عيدنا .

محمد المنتصر النمر

مدير ادارة الدعوة

من هدى السنة

الاختبار الالهى

عن أسامة بن زيد (١) رضى الله عنهما قال : ارسلت ابنة (٢) النبى صلى الله عليه وسلم اليه ، أن ابنا لى قد قبض (٣) ، فارسل يقرىء السلام ويقول : ان لله ما اخذ وله ما أعطى ، وكل عنده باجل مسمى فلتصبر ولتحتسب (٤) فارسلت اليه تقسم عليه لياتينها ، فقام ومعه سعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورجال (٥) فرفع (٦) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبى ونفسه تتقعقع (٧) قال (٨) ، حسبت انه قال ، كانها شن (٩) ففاضت عيناه ، فقال سعد : يا رسول الله : ما هذا ؟ (١٠) ، قال هذه الرحمة (١١) جعلها الله فى قلوب عباده ، فانما يرحم الله من عباده الرحماء (١٢) .

(رواه البخـــارى) (١٣)

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

١ ــ الحياة الدنيا ممر ، والدار الآخرة مقر ، (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) ، والأيام تمضى بنا سراعا الى نهاية محتومة ، وكل راحل غير مقيم ، وسائر الى لحده طال به الزمان أم قصر ، وهذا من البدهيات التى لا تحتاج الى طول بحث واستقصاء وقد تكلم العلماء كثيرا عن الموت ، لأن من الناس من أهمتهم الحياة الدنيا فأخذوا يعملون لها عمل الخالدين ، ويستمسكون بها كأنهم لن يفارقوها ، ومثل هؤلاء تصدر عنهم فعال شائنة يربد لها وجه الانسانية ، تراهم يتكالبون على المتاع الزائل ، ويدخلون اليه من كل باب ، ولا يضيرهم أخالفوا قوانين الاخلاق او وافقوها ، كما لا يهتمون باجابة داعى الله أو مجاهرته العداء ، وقد لا يجدى معهم قول ولا ينفعهم توجيه ، يعادون ويصادقون ، ويتفقون ويختلفون حسب هواهم ومقتضى منفعتهم العاجلة ، أولئك الذين أصمهم الله

---

(١) هو الحب ابن الحب (هكذا كان يدعوه رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى المحبوب ابن المحبوب للنبى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

(٢) اختلف الرواة فى تعيين اسمها رضى الله عنهن جميعا .

(٣) قد قبض : اى فى حالة مفارقة روحه للجسد وتسمى (حالة النزع) ولها علامات ودلائل يدركها بعض الناس ممن سبروها ، وان كانت تلك العلامات غير قطعية دائما ، ولم يكن الصبى قد فارق الحياة فعلا بدليل أنه جاد بنفسه بين يدى جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

(٤) ولتحتسب : أى تطلب ثواب صبرها من الله تعالى على مفارقة ولدها ، وهذا يجعل فى ميزان عملها الصالح يوم القيامة .

(٥) رجال : لم يسمهم الراوى ، اكتفاء بمن ذكروا منعا للتطويل ، أو لم يعرف أسماءهم جميعا فاكتفى بمن عرف .

(٦) فرفع اليه : وفى رواية أنه وضع فى حجره الشريف .

وأعمى ابصارهم ، فلا مقال لنا معهم ولا حديث ، وانما هو الشرح والتوضيح (انما عليك البلاغ وعلينا الحساب) .

٢ — مرت بالشرق عصور اسيء فيها فهم دعوة الدين — والدين عند الله الاسلام — الى الايمان بالاخرة ، فتواكلوا ، وتوانوا وتخاذلوا حتى وهنوا وضعفوا ، وتلاشوا او كادوا واغتنم الفرصة السانحة غيرهم فوثب عليهم فى غفلة منهم ، واستولى على مقدراتهم ، بأساليب وطرائق قددا ، ولو انهم ادركوا الحقيقة — لا اقول المستترة — وانما الواضحة لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ، وهى أن الايمان بما عند الله يستوجب الاهتمام بالعمل الدائب فى الأيام القصيرة التى يقضيها المرء على ظهر البسيطة ، فيجب أن يفنى فى الله ، ومعنى الفناء فى الله أن يؤمن بقضائه وقدره خيره وشره حلوه ومره ويعمل جاهدا آناء الليل وأطراف النهار لخير الانسانية ، فيبحث ويدقق ويكشف ويبدى ويعيد حتى يصل الى بعض اسرار الكون الخافية ويجاهد وان لاقى فى الجهاد عنتا والما وشدة ، فكل عمل ، يقوم به نقيرا أو قطميرا ، أو يضيع لبنة فى بناء انسانية فاضلة يحتسب له عند الله ولا يضيع سدى أبدا (ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا) .

والمؤمن بالآخرة حقا وبلقاء الله صدقا لا ينى ولا يتكاسل ولا يتقاعس عن خير أبدا ، يجعل حياته الدنيا كفاحا متواصلا وعملا جادا وسعيا حثيثا للوصول بالانسانية الى اسمى ما تصبو اليه فى الماديات والمعنويات فأولئك الكاشفون لأسرار الكون لهم عند الله أجر عظيم متى حسنت نياتهم وعملوا صالحا ، وتوضيحا لما اقصد اليه أضرب مثلا ، ولا مثل عندى ولا اسوة اعظم من المثل العليا التى رسم طريقها لنا أولوا العزم من الرسل ، فهم الصفوة والقدوة للانسانية التى يعز وجودها ، سلكوا كل دروب العمل فى ضنى وألم وشدة ومشقة ولين حينا وعنف أخرى ، ليقودوا الناس قيادة حسنة صحيحة منظمة منتجة فعالة ، بتوجيه من العلى الكبير العزيز الحكيم ، يرجون ما عند الله واليوم الآخر ، ولا ننسى عقلاء البشرية والصفوة بعد الرسل ممن سلكوا طريقهم وانتهجوا نهجهم .

٣ — ويخطىء من يظن أن دعوة السماء دعوة اتكالية حين ترد عبارات متشابهة مشكلة لا يرقى الى حلها العقل القاصر الحادث المخلوق ، ولا هى دعوة متناهية بزمان أو مكان ، وانما هى دائما مستمرة ، وحامل المشعل جاد السير ، وحادى العيس لا يتوقف بابله فى صحراء الوجود ، ولا يتوانى حتى يدركه الظمأ ، ويلاحقه فناء القوت ،

---

(٧) تتقعقع : تتحرك وتضطرب ، وهى حشرجة الموت .

(٨) قال : أى الراوى عن زيد ، حسبت أنه قال ، أى أسامة .

(٩) كأنها شن : الشن يطلق عند العرب على القربة الخلقة (القديمة) اليابسة ، يحركها الريح أو محرك فتحدث صوتا معروفا ومن أمثالهم المعروفة (ما هذه القعقعة بالشنان ! ، وما هذه الوعوعة باللسان !) وتتخذ القرب من جلود بعض الحيوانات .

(١٠) ما هذا ! : يشير الى ما رآه من الدمع يترقرق فى عينى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد فاضت بالدمع عيناه الشريفتان .

(١١) هذه الرحمة : أى ان ما تراه أثر من آثار الرحمة وهى الرقة والقلب الحانى المعطوف ، لا المعترض على قضاء الله وقدره .

(١٢) الرحماء : وفى رواية أخرى الراحمون يرحمهم الله ، والراحمون من فيهم أصل الرحمة ، لأن القساوة والفظاظة والغلظة صفات لا يحبها الله ، تبارك وتعالى .

(١٣) رواه البخارى فى باب (تعذيب الميت ببكاء اهله) .

وانما يسير حثيثا مهما لاقى من زوابع الصحراء ،وثورة رمالها وضياع معالم طريقه فيها ، والعاقل يردد دائما : ما دمت فانيا يوما ما فليكن فنائى فى صالح الانسانية وما دمت راحلا ولا مناص فليكن رحيلى فى اكمل صورة واقوى مسير ، ولهذا عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يحاولون ترك الحياة لغيرهم جبنا وضعفا ، وبين ما أعد الله لهم من السعير والنكال يوم القيامة .

هذا عالم يقضى ليله باحثا دارسا فاحصا فى الوجود حوله حتى يخرج على الملأ بأسرار من عجائب الكون مما اكنه الله فيه ، هل يستوى هو ومن يؤثر الراحة والدعة ، ومن ينام ملء جفنيه غير مبال ولا عابىء الا بمعدة امتلأت أو خوت ، وشهوة ظمئت أو ارتوت ، هل يستوى من يقضى على الآلام الحسية والمعنوية بالدلالة على أدوائها الناجعة وعلاجها الحاسم مع غر جاهل غلف لا يدرك ما يدور حوله ، مدعيا أنه ما دام فانيا فلا حاجة الى مقاساة البحث عن حلول المشاكل وطول العناء فى معالجتها .

الفاقه لدعوة السماء فقها حقيقيا يجد ولا ينى ، لا يهن ولا يلين ، لا تزيده الشدة الا صبرا وجلدا ، يصقله الابتلاء صقلا عجيبا ، والرمح لا يستقيم الا بالنار .

والزاعبية لا يقيم كعوبها
الا الثقاف وجذوة تتوقد

فكلما ضاق الأمر اتسع ، وقديما قيل : (اشتدي أزمة تنفرجى) ، وكيف يميز الناس الخبيث من الطيب الا بالكوارث والنوازل ، لا يطير لهولها لب الحليم ، وانما يصمد الصنديد المؤمن الجاد المثابر ، تزيده الخطوب قوة علي قوة ، والمشاهد فى العوامل الطبيعية والمظاهر الكونية البدائية أن الغبار يثور ويتطاير لأنه خفيف ضعيف لا يستطيع الصمود لكر الريح الرخاء بله الصرصر العاتية .

كريشة فى مهب الريح طائرة
لا تستقر على حال من القلق

بينما الجبال الرواسى لا تنال منها الأعاصير الهوج ولا تزحزحها العواصف ولا القواصف .

٤ — لم اذهب بعيدا عن معنى الحديث الشريف ، فالحديث فى جملته يدعو الى الصبر عند الشدة والتسليم لله عند البلاء ، وليس معنى التسليم الالتزام ، وانما الصمود والسعى الى جولة جدية جديدة والباحث فى معمله أو مختبره كلما تعقدت معه بعض المواد اضاف اليها جديدا أو خالف بينها حتى يصل منها الى ما يريد ، وقد لا يصل فيجىء سائر على دربه فيصل ، وهكذا الرقى فى مدارج الانسانية الكاملة ، واحيانا تضعف المواد موضع الدرس فتلين طبيعتها امام تصميم العالم المثابر ، فتبدى له من اسرارها ما لم يكن فى حسبانه ، وهذا ما كان مع كثير من العلماء المكتشفين ، بحثوا عن شىء يهدفون اليه راسا ، فانكشف القناع لهم عن ما هو اهم واجدى على الانسانية .

ولو أن من مات له ولد او فارقه حبيب ، مات غما وفنى كمدا لأضاع الموجود فى غير طائل ، واهمل ما يستحق الاهتمام فى غير نتيجة ، ولو ان الأم قضت مع وليدها لهلك من بقى لها من ولد ، ولكن لو صبرت واحتسبت لأدركت أن من مضى مضى ولن يعود ، وأن من بقى بقى الى أجل لن يطول مهما طال ، وكل بقضاء الله وتقديره .

٥ — نخلص من كل هذا الى ان المصائب من أعظم دروس الحياة اختبارا للرجال ، فالقوى المؤمن لا يطيش عقله لنازلة ولا تهن قوته لحادثة لأن الحياة اخذ واعطاء ، وكفاح ونضال (ولله ما اخذ وله ما أعطى) وتلك اختبارات يفوز فيها المتماسك الجلد الصبور ، ويرسب الخوار الضعيف الواهن ،

وما من مشكلة الا ولها حل ، ولا معضلة الا ولها من يزيلها ، ولو أن ريح الحياة أجرت رخاء دائما ، ما نما زرع ولا أثمر شجر ولا تفوق انسان ، ولتساوت الأقدار أقدار الرجال ولما عرف القاعد من المجاهد .

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والاقدام قتال

والتاريخ يحدث ولا أحب الى من تاريخ رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، يحدث تاريخه الشريف انه كلما اشتد عليه قوم صمد وبحث فى المأزق عن مخرج مستعينا بربه متوكلا عليه ، حتى أرسي قواعد الخير ووضع اسس حضارة انارت الدنيا وأنتجت حضارات يقف أمامها العلماء العقلاء مشدوهين ، يأخذهم العجب لرجل لم يدرس كما درسوا ولم يسلك مسالكهم التى سلكوا ، ولكن كان فذا لا مثيل له ولا ضريب فى أبناء آدم جميعا ، ولا عجب فقد علمه الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم .

٦ ــ بعد هذا : نجد فى الحديث الشريف أشياء وأشياء ، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تلوذ به عند الشدة ولا شدة عند الأم كفقد وليدها وفلذة كبدها ، ونرى رسول الله يسلم الأمر لله ويدعوها الى الصبر والاحتساب ، ولكنها لا ترضى الا أن يحضر اليها أبوها رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، ويبر قسمها ، ويدخل عليها ومعه صفوة أصحابه رضى الله عنهم جميعا فترفع اليه وليدها وهو يجود بنفسه فى لحظة قاسية عند الأم يتأهب فيها ولدها لمفارقة دار الفناء الى دار البقاء وصوت نفسه تتقعقع كأنها تقول للحياة الدنيا وداعا كريما ، وتقول للآخرة مرحى مرحى ولقاء طيبا مباركا وينظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الأم والى الوليد فتفيض عيناه الشريفتان بالدمع ، دموع الرقة والرحمة والعطف والحنان ، ويرى ذلك صحابى جليل مؤمن لكنه مدرك لظاهر من القول وهو عن الخافى غافل ، يدرك نهى رسول الله الكريم عن البكاء ادراكا فجا بدائيا لا ادراك الداعى المستنير ، فيقول : بكى رسول الله وقد نهى عن البكاء ، ويجىء الجواب ، ليس هذا بكاء من يشق الجيوب ويلطم الخدود ويدعو بدعوى الجاهلية ، وانما هى الرحمة وتلك كلمة مدلولها فاق غاية الخفاء ، وان كان باديا واضحا للنفوس الكريمة الطيبة الطاهرة الزكية المتصلة بالرحمن الرحيم سبحانه ، ويخرج الجميع الى حيث يهال التراب على أحب الناس الى أحب الناس الى الله تعالى ، ويخلص الباحث الواعى من هذا الدرس بنتائج طيبة تخدم الانسانية ، وتنير لها دروب الحياة المعتمة القاسية ، يخلص الى أن الحياة الدنيا حافلة بالاختبارات الالهية ، وأن عدة النجاح فيها الصبر وهو صبر مأجور عليه اذا احتسب عند الله زادت آثاره الطيبة فى الدنيا والآخرة ، ويدرك أن المصائب مهما اشتدت فلا تلين لها قناة المؤمن بالله ولا يهتز أمام بلواتها عوده ، وانما يجابهها بصدر رحب ورأس عالية وفكر ثاقب ، ويبحث فى الخلاص منها والتغلب عليها ، وبهذا ينشأ جيل مكافح مناضل لا تزيده الرزايا الا قوة ، ولا تمنحه البلايا الا أيدا وعنفا فى مواجهتها ، والعود لا يظهر طيبه الا بالنار المحرقة (١) ، (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) صدق الله العظيم .

---

(١) اكتب هذا بمناسبة كارثة العرب الأخيرة مساهما ــ جهد المقل ــ مع الداعين الى البناء القوى الفعال ، وترك الخور والضعف والتثبيط والتواكل ، فعند الشدائد تظهر أقدار الرجال ، والله مع العاملين ولن يترهم اعمالهم والحرب دائما سجال . ومن ظن من يلاقي الحروب بأن لن يصاب فقد ظن جهلا .

ركائز التفكير الإسلامي

موقف العقل من الإيمان

٨) نطاق العقل .

ومن ركائز التفكير الاسلامى الراسية على أصول القرآن ، التفريق في الادراك ، بين عالم الغيب وعالم الشهادة . وهذا نفس ما عرفته الفلسفة ، وأوضحه (كانط) . فهنالك نوعان من الادراك للموجودات . ادراك لكنه الشىء بذاته . وادراك لوجوده بالدليل ، مع العجز المطلق عن ادراك كنه ذاته . فالعقل البشرى قد يستطيع ادراك كنه الشىء بذاته ، الى حد ما ، ضمن نطاق محدود ، وهو نطاق العالم المادى المحسوس (عالم الشهادة) أما في عالم الغيب غير المحسوس ، فالعقل يستطيع ادراك وجود الشىء بالاستدلال ويستطيع ادراك بعض صفاته من آثار ، ولكنه يعجز عن ادراك كنه ذاته . هذا مقرر لا يحتمل الجدل . وبهذا الادراك نستدل على وجود الله ، وعلى بعض صفات كماله ، من آثاره ، بدون أن نستطيع ادراك كنه ذاته .

٩) التصور والتعقل .

ومن ركائز التفكير الاسلامى الذى ينبع من أصول القرآن أن نفرق بين التعقل والتصور . وهكذا يقول العلم ، وهكذا تقول الفلسفة الصحيحة . فليس كل ما يمكن تعقله يمكن تصوره . لأننا قد نعقل وجود الشىء بالدليل ، ولكن لا نستطيع أن نتصوره . وليس عجزنا عن تصور الشىء الذى تعقلناه مبررا للقول بعدم وجوده . أترانا نستطيع أن نتصور أن ورقة من ورق السجاير الرقيق ، الرقيق ، اذا قطعت بالتضعيف ٤٥ مرة (١) ثم ركمت صعودا فانها تصل القمر ..؟ ولكننا بالحساب البسيط يمكن أن نتعقله .

---

(١) أى مرتين ، فأربعة ، فثمانية ، فستة عشر ، فاثنتين وثلاثين فأربعة وستين وهكذا .

كان أحد أساتذة الفلسفة في جامعة كبرى كتب يتساءل — كالمنكر — عن بعض آيات القرآن الكريم ، ثم يدعى أن التفكير الاسلامي المعاصر مشدود الى الوراء شدا يمنعه من الانطلاق في آفاق العلم والمعرفة . فاجابه الشيخ نديم الجسر بجواب أوضح فيه ركائز التفكير الاسلامي القائم على (الحق) في باب العقل والعلم ، توضيحا امتاز به فضيلة الشيخ في مخاطبة الشباب والعلماء المتفلسفين بلغة العلم والفلسفة نفسها ، وقد رأينا — تقديرا منا لهذا البحث ان نضعه بين أيدى القراء الكرام وبخاصة الشباب منهم .

وقد قدمنا لك القسط الاول من هذا البحث فى عدد شعبان ونقدم لك الآن بقيته .

الوعي الاسلامي

وموقف القرآن من العلم والمعرفة

الشيخ نديم الجسر
مفتى طرابلس — لبنان

واذا القى الينا من المجرة مثلا جهاز تلفزيون افلا نستدل به على وجود صانع ، ثم نستدل به على بعض صفات ذلك الصانع ، التى منها أنه عاقل وذكى وعالم ؟ ولكننا مع تعقل وجوده ، وتعقل بعض صفاته ، لا نستطيع تصور كنه ذاته ، لأننا لم نشاهده ولم نحسه ، ولكن هل يصح ، في حكم العقل ، ان ننكر وجوده ، لأننا لا نستطيع تصور كنه ذاته ، بعد أن تعقلنا وجوده وبعض صفاته بالدليل العقلى القاطع ؟

١٠) غايات الأشياء .

ومن ركائز التفكير الاسلامى الراسية على أصول القرآن كذلك أننا محجوبون عن ادراك كل بدايات الأشياء ونهاياتها . هذا مقرر . وهكذا خلقت عقولنا . بل هكذا خلقت حواسنا ، حتى في عالم المادة الذى نعيش فيه ، كما يقول (باسكال) . فالصوت اذا أفرط في الشدة يصم أسماعنا ، أو على الأصح لا نسمعه ، والنور اذا أفرط في الشدة يغشى أبصارنا ، بل يصعقنا كما صعق موسى ، والقرب يمنعنا من الرؤية اذا أفرط ، كما يمنعنا البعد . هذا هكذا في عالم الشهادة ، فكيف اذا كان الأمر الذى نريد معرفة أولياته وبداياته ونهاياته وغاياته من عالم الغيب ..؟

١١) الظن والحق .

ومن ركائز التفكير الاسلامى (ان الظن لا يغنى من الحق شيئا (١) وهذا هو نفسه منطق العقل فى اثبات الشىء ونفيه . هنالك فرق كبير

(١) سورة يونس آية ٢٨ .

عند القطع والجزم ، بين الاثبات والنفى . فنحن نجزم بثبوت الشىء الذى يقوم الدليل العقلى أو العلمى القاطع على وجوده . ولكن لا يحق لنا أن نجزم بنفى الشىء أو الخبر الذى لم يقم لدينا الدليل على وجوده . الا اذا كان تصور وجود هذا الشىء ، أو هذا الخبر ، يشكل تناقضا عقليا في الذهن ، كما يقول لايبنتز) . أما اذا لم يكن الأمر كذلك ، وكان الشىء أو الخبر من النوع الممكن ، فاننا نقف أمامه موقفنا من كل ممكن غير مستحيل ، فلا نقطع بثبوته عقلا ، ولا نقطع بنفيه عقلا .

١٢) نواميس الله لا تتخلف

(ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) (١) وكذلك يقول العلم ان النواميس الكونية ثابتة ولا تتعطل ولا تتخلف . ولكن الانسان يستطيع أن يوقف تأثير ناموس بناموس آخر . ولا يقال هنا ان الانسان عطل فعل الله ، أو عطل خلق الله . ولكن يقال : ان ناموس الله تعطل بناموس الله ، كما في تأخير نمو الخلية الانسانية في الجنين ، أو افسادها ، أو تشويهها بالمواد الكيماوية ، أو بالأشعة ، كما ذكرت في سؤالك .

هذه أهم الركائز في التفكير الاسلامى النابع من معين القرآن ، وهى تكاد تكون كالبديهيات في منطق العقل ، ومنطق العلم ، ومنطق القرآن . وهى الكفيلة بالرد على كل التساؤلات والشكوك والصعوبات التى أثيرت ، وبالرد على كل صعوبة يجدها الشاب الثقيف في بعض آيات القرآن ، حتى يفهمها ، أو يكف عن تكذيبها على الأقل . ويكفى الشاب الثقيف اذا كان يسأل للاستفهام حقا ، لا للجدل والمراء (بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) يكفى أن يعرض شكه على هذه الركائز ، وينعم النظر فيها ، ليجد الجواب الذى يرضاه العقل السليم ، والمنطق القويم ، والقرآن الكريم .

في الرد بايجاز على تساؤلاتك

أ ـــ أما تساؤلك عن موقف المسلم من الثقافة والحضارة المعاصرة ، والانقلاب العلمى ، والثورة الصناعية ، وكتاب (دارون) في أصل الأنواع ، ومؤلف (ماركس) في (رأس المال) ، ونظرية (آنشتاين) في (النسبية) ، فانك تجد جوابه في الركائز الثلاث الأولى التى أوضحنا فيها أن القرآن يقدس العقل والعلم والحرية . ولن يكون موقف المسلم ، من هذه المستجدات التى ذكرتها ، الا كموقف كل انسان ذى عقل سليم . يدركها ويفهمها ، ويأخذ منها بكل ما يتلاءم مع الحق والخير على أساس مفهوم الحرية في الاسلام .

أما مذهب (دارون) فقد بينا فى كتابنا (قصة الايمان) (٢) ، نقلا عن (الرسالة الحميدية) انه عند ثبوته الثبوت القاطع ، لا يتنافى مع القرآن .

وأما نظرية (انشتاين) في النسبية فقد بينا في قصة الايمان أيضا انها لا تتعارض مع القرآن في شىء ، لأن القرآن يؤيد كل ما هو حق في باب العقل والعلم .

ب ـــ وأما تساؤلك عن خلق آدم من طين فتجد جوابه في كلامنا عن مذهب (دارون) في نفس الكتاب ...

ومثله سؤالك عن المعجزات ، فانك تجد جوابه في الركائز (٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١) . ـــ فالمعجزات التى قد ورد ذكرها في كل الكتب السماوية لا في

---

(١) سورة آية ٤٣ .

(٢) من أحسن ما كتب لهداية النفوس الى خالقها ولعلنا نستطيع فى المستقبل تقديم عرض لهذا الكتاب القيم الى القراء ..

القرآن وحده ، ما هي في الحقيقة الا خرق للناموس من قبل الله . فاذا كنا نؤمن بأن الله هو خالق الكون وخالق نواميسه ، فبداهة العقل تحكم بأن الذى خلق الناموس قادر على خرقه . والقول بنفى هذه القدرة هو الـذى يشكل تناقضا عقليـا .

وكذلك سؤالك عن الملائكة والجن ، فانك تجد جوابه في الركائز الخمس المذكورات . لقد كان تصور الملائكة والجن ــ لعمرى ــ أكثر صعوبـة قبـل اكتشاف نواميس الضوء ... اما اليوم ، بعد معرفة أمواج الضوء وانواعها من المنظورة وغير المنظورة ، وسلالمها الكثيرة التى يقع العالم المنظور في سلـم واحد منها فقط ، فقد أصبح من قبيل التعنت والمراء أن نقف من الملائكة والجن موقف الانكار .

والخلاصة ان هذه الأمور الغيبية كلها ، من خلق آدم ، وخرق النواميس ووجود الملائكة والجن انما يقع تصديقها أو تكذيبها تحت تمحيص مبدأ التناقض الذى ذكرناه في الركيزة (٧) وبما انها من النوع الممكن ، ولا يحـدث تصـور حدوثها أو وجودها (تناقضا عقليـا في الذهن) ، فـلا مجال للجزم والقطـع بتكذيبها .

جـ ــ وأما تساؤلك عن الآية الواردة في سورة (المؤمنون) التى تتعلـق بخلق الانسان من نطفة وعلقة ومضغة .. وقولك عنها أن ظاهرها يفيد الخلق الدفعى المباشر ، وان هذا يتنافى مع علم الأجنة ، وما ثبت فيه من تطور الخلية الانسانية ، وتحيرك في كيفية التوفيق بين خلق الله المباشـر المتكرر للنطفـة فالعلقة فالمضغة فالجنين في اطواره المذكورة ، وبين كوننا نستطيع أن نتحكم في نمو الخلية ، ونستطيع تأخيره او تشويهها ، ونكون بالتالى المعطلين لعمل الله في الخلق ، فانك لتجد جوابه في الركيزة (١٢) ، وفي كـلامنا عن خلـق آدم ومذهب (دارون) ، وقولنا فيه ، ان الخلق يمكن أن يكون بالطريق التدريجـى التطورى ، على مقتضى نواميس وقوانين وضعها الله في الكون . واحسب ان علم الأجنة مما يؤيد هذا الخلق التطورى ، ويقدم عنه مثالا محسوسا ، وان كان الخلقان يقعان تحت قدرة الله ، وليس احدهما ادل على القدرة من الآخر .

وأما تعجبك مما يعطيه ظاهر الآية من معنى الخلق المباشر المتكرر ، فتجد جوابه في الركيزة (٥) التى بينا فيها أن نهج القرآن في مخاطبة الناس انما يكون على قدر أفهامهم ومعارفهم وما كان لله العليم الحكيم ، الذى هو الخالـق فـى الحقيقة على كل حال ، ان يحير الناس ، في عهد نزول القرآن ، بذكر تفاصيل الخلق عن طريق الخلية ، ونموها التطورى بقوة النواميس التى وضعها اللـه في الكون ، وهم لا يفهمون معنى الخلية ، ولا معنى النامـوس ، ولا معنـى التطور . وهذا ما قلنا عنه انه من اعجاز القرآن ، حين يعبر عن المعنى بعبارة يفهمها البدوى الأمى على ظاهرها ، ويفهمها العالـم الفيلسـوف في أعماق اسرارها .

وآخر الأجوبة عن أمر الخلية هذه تجده في الركيزة (١٢) التى قلنا فيها : ان نواميس الله لا تتخلف ، ولكن يمكن توقيف أثرها بتسليـط ناموس علـى ناموس . فنحن عندما نتحكم في نمو الخلية أو افسادها أو تشويهها لا يقال : اننا عطلنا عملية الخلق التى يقوم بها الله بيده ، ولكن يقال : ان أحد نواميس الله قد توقف بأحد نواميس الله ، طبقا لما اراد الله في الناموسين أن يتفاعلا ، وطبقا لما أراد الله للانسان من التصرف في استعمال النواميس ، والانتفاع بها ، وطبقا لما قدره الله في عمله الازلى ، من خلق الجنين ، أو عدم خلقه . وهذا أظهر من ان يحتاج الى جدل .

د ــ وأما كلامك عن مخالفة الله لجميع الأشياء ، وعن قول القرآن عـن

الله (ليس كمثله شيء) وقولك أنت عنه في آخر الكلام عن لسان المسلم (كيف اومن بكائن يقال لي : انه في الحقيقة لا يوصف ؟ وهل يكون ذهني خاليا من كل معنى أو تصور حينما أصفه بالعدل والرحمة مثلا ؟ الا يكون عندئذ وجود مثل هذا الاله او عدم وجوده سيين بالنسبة الى) .

فاني أسألك ، في جوابه . ما لك يا دكتور . . .؟

انه ليبدو أنك تكاد تضع المشكلة في طريق مسدود . . . أو تكاد تطلقها (الى ظل ذى ثلاث شعب . لا ظليل ولا يغني من اللهب) . .فأما أن تنكر وجود الله . . وإما أن تقول بالتجسيد للاله . . وإما أن تقول بوحدة الوجود . . وما احسبك تريد شيئا من هذا .

ثم . هل القرآن وحده قال بهذا التنزيه لله عن مشابهة الحوادث ، أم أجمعت عليه كل الكتب السماوية المنزلة الصحيحة ، كما أجمع عليه كل الفلاسفة الالهيون ؟

الا تذكر ما قلناه في الركيزة (التاسعة) عن الفرق بين التعقل والتصور ، وان ليس كل ما يمكن تعقله بالدليل القاطع يمكن تصوره ؟. . ثم ، الا تذكر ما تلناه في الركيزة الثامنة عن عجز عقولنا عن ادراك كنه الشيء بذاته الا في المحسوسات ! ثم . من الذى زعم أن القرآن قال عن الله بأنه لا يوصف ؟ أمثلك يقول هذا، والقرآن مملوء بصفات كمال الله سبحانه ! ولو لم ترد صفات كمال الله في القرآن السنا نستطيع أن نعرفها من آثاره . . .؟ الم يعرفها (ديكارت) بعقله لما رجع عن شكه ، واستنتج من وجود نفسه ، وجود ربه وخالقه ، ثم استنتج من آثاره أكثر صفات كماله (١) ؟

هـ — وأما قولك (انه يفترض في المسلم أن يعتقد بايمانه وقلبه لا بعقله وذهنه) فغير صحيح . بل عكسه هو الصحيح . فليس في الاسلام ايمان قلبي روحاني يكتفى بالتخيل أو الالهام أو التلقين أو التقليد ، دون أن يعتمد على أدلة العقل اذا نضج العقل ، وبدأ بالتفكير ، أما الذى يسمونه (ايمان العجائز) فانه ليس بالايمان الكامل الذي يقف على رجليه اذا عصفت زوابع الشك وأعاصير الشبهات . ولكنه يقبل من العجائز والعاجزين عن الاستدلال العقلي ، من باب رفع الحرج والتكليف بالوسع ، وهما من اهم وأحكم مبادىء القرآن . بل ان هذا الايمان العجائزى ، (الذى نحسبه قلبيا روحانيا الهاميا تلقينيا تقليديا) ينبع ، في الحقيقة ، من العقل الباطن الذى تكمن فيه — من غير شعور منا — أدلة العقل ، بالفطرة التي فطر الله الناس عليها ، ومن بعضها قانون العلية الذى يتطلب العقل فيه لكل معلول علة ، ولكل مسبب سببا .

ولو اكتفى ايمان الاسلام بأن يكون من الظن والخيال والالهام والتلقين والتقليد ، لما كان يختلف ، في هذا عن ايمان المشركين وعبدة الأوثان !! . أن ايمان الاسلام هو ايمان الحق واليقين ، لا ايمان الظن والخيال (وان الظن لا يغني من الحق شيئا) واذا كان ايمان المسلم يقع أخيرا ، في القلب والضمير ، فانما ينحدر اليهما من قمة العقل ، طاهرا من أدران الظنون والأوهام ، بعد أن يمر بمصفاة العقل السليم ، ويصبح صالحا لمقاومة الشكوك والشبهات ، كالدم الذى يرده القلب الى حيث يصفى من سمومه ، ليصبح قويا وصالحا لمقاومة الجراثيم . . . هذا هكذا . ومن ظن أن في الاسلام ايمانا كاملا غير هذا الايمان العقلي البرهاني اليقيني ، فانه يشوه معنى الايمان بالله ، الذى يمتاز به دين الاسلام عن الوثنية المشركة بكل أشكالها .

---

(١) فليس معنى الآية كما فهم الدكتور أنه لا يوصف بالعدل ولا بالرحمة . بل انه يوصف بهما ولكن على أن نعلم أن الصفات التي يوصف بها غير صفاتنا نفسها التي نوصف بهـا .

« السوعي »

صفات قرآنية لليهود عبر التاريخ

الاستاذ : صلاح عزام

ولنحاول ان نتعمق فى التاريخ لنتعرف على متابعة اليهود للدين الاسلامى حتى نستطيع ان نحكم على هذه الطائفة .. فى وضــوح .. وعدل .. وعلى الدوام .. ومن خلال حياتهم عبر العصور لا من خلال فترة ما بعد البروتوكلات .. وفقط ..

لقد اثبتت الوثائق العلمية أن اليهود ترقبوا الدين الاســلامى .. ومطلع الدعوة المحمدية .. حتى أنهم تركوا الأرض .. واتجهت عناصرهم المفـــكرة والرئيسية الى الصحراء القاحلة فى المدينة ، وبالقرب من مكة .. وزعموا أنهم جاءوا الى هذه المنطقة .. تاركين خلفهم الأرض الســهلة والبلاد الخصبة .. انتظارا لنبى سيظهر فى هذه الأرض .. فيتبعونه لأن كتبهم تنبئهم بذلك ..

قالوا هذا لقبائل العرب .. فتركوهمُ وشأنهم اذ انهم اهل ايمان بالله .. والعرب قوم وثنيون ..

ولكن اليهود .. بعد ان استقر بهم الأمر .. بدءوا يقيمون الحصون .. ويوســـعون فى رقعة أرضهم .. ويعملون فيما لا يعمله العرب . ويــكونون الثروات ، ويتدربون على القتال واستعمال الأسلحة مز داخلها ..

ولما أثار هذا شك العرب .. واستفسروا عنه .. خاصة وان أحـدا لم يحتك بهم ، أو يحاول الاعتداء عليهم .. كانوا يجيبون بما لا يضمرون ..

اما الحقيقة .. فهى ملاقاة محمد ورســالته .. وحتى يمثلوا مع النبى دورهم مع المسيح .. يقاتلونه .. ويشرعون فى قتله ان استطاعوا .. لكيلا ينتشر دينه ، وليخلو لهم الجو مع الدين الجديد يصارعونه ويقتلون قادته ، ثم يقضون عليه تماما .. لأن الاسلام دين آخر .. يختلف عنهم .. وعن المسيحية وفى انتشاره وتعمقه فى النفوس .. قضاء على ما سواه ..

هكذا كانوا يفكرون .. ومن اجل هذا كانوا يعملون ويستعدون ..

ولم يتبع اليهود النبى .. ولم يؤمنوا بالاسلام .. وانما كانوا حربا عليه من اللحظة الاولي .. ودهش العرب لهذا الموقف .. حتي ليقول سعيد بن جبير عن ابن عباس ان يهودا كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بنى سلمة : يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ، ونحن اهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته . فوقف سلام بن مشكم احد بني النضير يرد عليه في سفسطة . وانتهى الأمر بهم من غير طائل ، حتي ليقول القرآن فى ذلك « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين .. »

وانتشر الاسلام ..

وقويت جماعة المسلمين ..

وتحرك اليهود يكشفون عن نياتهم .. ومؤامراتهم .. ويواجهون المسلمين في وضوح وصراحة بالعداء .. ويؤلبون عليهم العرب .. وينضمون اليهم فى قتالهم للمسلمين ..

وفى القرآن الكريم .. وصف لخطى هذه المؤامرة العريضة ورصد دقيق لنفسياتهم ، تنبيها للمسلمين على مر الزمان لهذه الفئة .. وتحذيرا لهم منها .

ومن خلال المرور العاجل لوصف القرآن لهم ، تبرز بعض جوانب مؤامرة اليهود ضد المسلمين الأول وقد قضى الله سبحانه وتعالى على هؤلاء اليهود فى حروب المسلمين معهم سواء مع بنى قينقاع ، أو بنى النضير ، أو بنى قريظة ، واخيراً فى خيبر .. وانتهت جميعها بنصر الله لدينه ، والقضاء على قوة اليهود .. وبتبعيتهم للمسلمين .. وبقيت لليهود صفاتهم كما قلنا تعريفا كاملا وواضحا للمسلمين بصفات خصومهم الألداء وطبائعهم « لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود .. »

ومن هذا المنطلق والوضع .. تجد صفات اليهود التى يحذر القرآن المسلمين منها ويعلمهم اياها .

فمن هذه الصفات الكثيرة التي ذكرها لنا القرآن الكريم :

مغرورون

انهم مغرورون .. فقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة الى حيث يتعبد اليهود ويتدارسون كتابهم ، ودعاهم النبى الى الاسلام فصمتوا ، ولم يتحدث واحد منهم ، ثم بدد الصمت النعمان بن عمرو ، والحارث بن زبير اثنان من أحبار اليهود ليسألا سؤالا غريبا : (على أى دين أنت يا محمد ؟)

فيقول لهم الرسول (على ملة ابراهيم ودينه ..)

فيجيبان : (ان ابراهيم كان يهوديا . .)

فيسألهما النبى عن أى سند لهما فيما يقولان ، وعمن تعلماه ، واين وجداه ؟ فيجيبان أنهما يجدانه فى كتابهما المقدس ، فيرد عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهلم الى التوراة فهى بيننا وبينكم . .) فرفضا . . لينتهى هذا اللقاء كما بدأ من غير طائل . . ولينزل قول الله تعالى « الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون . ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون . . » .

و . . سفهاء

ويصفهم القرآن مرة أخرى بأنهم سفهاء اذ عندما استجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء نبيه وتحولت القبلة من المسجد الأقصى الى المسجد الحرام . . صعق اليهود ، وسارع وفد من أحبار اليهود الى لقاء النبى صلى الله عليه وسلم ليساوموه على أن يعود الى القبلة الأولى ، وهم يدخلون فى الدين الاسلامى . . وظلوا يساومون النبى . . والنبى يقول لهم : ان هذا هو أمر الله . . ولا يملك هو الا اطاعته . . ولم يقتنعوا ولم ييأسوا ، وانصرفوا غاضبين مقهورين ، لينزل فيهم قول الله تعالى « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم » .

واتباع شياطين

واشمل الأوصاف . . من بين أوصاف عديدة يذكرها القرآن الكريم لليهود . . انهم اتباع شياطين . . وكان هذا اثر محاورة مع النبى صلى الله عليه وسلم يذكرها عبد الله بن عبد الرحمن عن شهر بن حوشب الأشعرى فيقول : ان نفرا من أحبار اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد أخبرنا عن أربع نسألك عنها ، فان فعلت ذلك اتبعناك وصدقناك وآمنا بك . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقنى . قالوا : نعم . قال : فاسألوا عما بداكم .

قالوا : فاخبرنا كيف يشبه الولد امه . وانما النطفة من الرجل .
قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله وبآياته عن بنى اسرائيل هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة فأيتهما علت صاحبتها كان لها الشبه .

قالوا : اللهم نعم ..

قالوا : فاخبرنا كيف نومك ؟

فقال : أنشدكم بالله وبآياته عن بنى اسرائيل هل تعلمون أن نوم الذى تزعمون أنى لست به تنام عينه وقلبه يقظان .

فقالوا : اللهم نعم ..

قال : فكذلك تنام عينى وقلبى يقظان .

قالوا : فاخبرنا عما حرم اسرائيل على نفسه ..

قال : أنشدكم بالله وبآياته عن بنى اسرائيل .. هل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب اليه البان الابل ولحومها وأنه اشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرم على نفسه الطعام والشراب اليه شكراً لله حرم على نفسه لحوم الابل ولبنها فقالوا اللهم نعم .

قالوا : فاخبرنا عمن يأتيك بالوحى ..

قال : أنشدكم بالله وبآياته عن بنى اسرائيل هل تعلمونه جبريل وهو الذى يأتينى .

قالوا : اللهم نعم ولكنه يا محمد لنا عدو وهو ملك انما يأتى بالشدة ويسفك الدماء ولولا ذلك لاتبعناك .

فانصرفوا . لينزل الله قوله تعالى « قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » الى قوله تعالى « أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون . ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » . الآية

و .. أوصاف أخرى ..

ومع هذه الأوصاف لتحديد موقف اليهود ضد الاسلام .. والمسلمين .. « لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود .. »

صدق الله العظيم

لماذا الإسلام؟

أسرار الكنيسة السبعة

للأستاذ : أحمد حسين المحامي

ليس باستطاعة أي مسلم أن يدرك ما تعنيه كلمة الكنيسة من معنى عميق ، فالكثيرون قد يتصورون أنها المكان الذي يقابل الجامع عند المسلمين ، أو مكان العبادة عند أي دين من الأديان . وليس أبعد عن الحقيقة من هذا التصور فالمسجد عند المسلمين لا يخرج عن كونه مكانا ليصلي فيه المسلمون صلاة الجماعة ، حيث يؤمهم أكثرهم حفظا للقرآن ، أو أكبرهم سنا ، أو من يختارونه لدى كل صلاة . وصلاة الجماعة تؤدى في أي مكان ، في البناء والعراء ، والأرض كلها مسجد لله حيث يقول الرسول صلوات الله عليه « جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا » وليس بين المسلم وربه أي وسيط ، على ما سوف نشرحه بالتفصيل فيما بعد .

أما كلمة الكنيسة فهي شيء يكاد يعز على التصور والتصديق ، فهي ليست كما يتصور الكثيرون مجرد هذا المبنى المعين الذي تقوم فيه الطقوس على سبيل التخصص والتحديد ، **ولكنها في معناها العام تشمل مجموع المسيحيين ، بل انها المسيح نفسه ، انها جسده ولحمه ودمه ، وهم يستندون في هذا على ما جاء في انجيل يوحنا : الحق اقول لكم ان لم تاكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه فلا حياة لكم في أنفسكم - من ياكل جسدي ويشرب دمي هو مشرب حقيقي - من ياكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه (الاصحاح السادس — انجيل يوحنا) .**

فالمسيحيون اذن هم جسد الله الحي ، ولما كانت الكنيسة هي وحدها القادرة على أن تمد المؤمنين بجسد المسيح ودمه ، لأن عملية الفداء قد تمت لحسابها ، فلا عجب اذا وصلت الكنيسة الاوروبية في العصور الوسطى الى هذه الدرجة من الهيمنة على شئون المسيحيين ، فهي وحدها الحياة والجنة والنعيم ، وخارجها الموت والجحيم .

اسرار الكنيسة السبعة (١) :

وتتمثل سلطة الكنيسة في أسرارها السبعة التي لا يمكن أن توجد خارجها وهذه الأسرار السبعة هي : المعمودية — الميرون — والتناول —

---

(١) نلفت النظر الى أننا في عرض هذه الأسرار قد استعملنا نفس الألفاظ التي تستعملها كتب الأصول .

والتوبة — والاعتراف — والمسحة — والزواج — والكهنوت .

واليك تفصيل هذه الأسرار السبعة :

١ — المعمودية (او الصبغة) :

هي الولادة الجديدة التي يتطهر المصطبغ بها من خطيئة آدم ، فمن لا يتعمد ، يظل حليف الخطيئة واقعا في براثن الموت . وهذه النعمة غير المنظورة تمنحها الكنيسة في صورة منظورة ، وهي رش الماء في بعض المذاهب ، وبالتغطيس في الماء ثلاث مرات (المذاهب الشرقية) .

وقد جرى الخلاف حول وقت التعميد ، فالبعض يرون ضرورة تعميد الطفل المسيحي بمجرد ولادته حتى لا يموت قبل الحصول على هذه النعمة والبعض يرى وجوب تأخيرها لأنها كفارة من الذنوب ، وطهارة . والاتفاق على ان أي مسيحي يجب أن يعمد على الأقل مرة في حياته .

٢ — الميرون :

هو حلول روح القدس على الانسان الذي نال المعمودية المقدسة وهذه النعمة غير المنظورة تمنحها الكنيسة على يد كهنتها بمسح المؤمنين بدهن الميرون المقدس . والأصل في الميرون أنه الحنوط والطيب الذي دهن به جسد المسيح عند دفنه . وقد اقتسمها الرسل بعد القيامة وتوارثها الآباء عن الرسل ، ثم رتبوا شعائر خاصة يؤدونها كلما وجدوا أن ما بقي لديهم من الميرون لا يفي بحاجة الكنائس . اي أنهم يحتفظون دائما بخميرة من الموجود لديهم ويضيفون عليها حنوطا وطيبا جديدين ، لتظل البركة الأولى الناتجة عن ملاصقة الحنوط لجسد الرب باقية على مر الاجيال .

٣ — التناول :

او العشاء الرباني وهو سر الأسرار لأن المؤمن يتناول فيه جسد الرب ودمه الأقدسين . فعندما يتلو الكاهن على القربان والخمر يتحول القربان الى جسد الرب المقدس والخمر الى دمه الزكي تحويلا فعليا حقيقيا .

٤ — التوبة او الاعتراف :

وهذا السر معناه الحصول على المغفرة بعد أن يبوح المعترف للكاهن بما اقترفه من ذنوب .

٥ — المسحة :

وهي سر ينال به المؤمن الشفاء الجسدي والروحي بعد ان يتلو الكاهن صلاة القنديل ثم يدهن المريض بالزيت المقدس .

٦ — الزواج :

وهو ربط الزوجين برباط الزواج المقدس الذي لا ينفصم . وكل زواج خارج الكنيسة لا تعترف به . وبالتالي لا يكون زواجا بل علاقة آثمة .

٧ — الكهنوت :

هو السر الذي ينال به الانسان النعمة التي تؤهله لأن يؤدي رسالة السيد المسيح بين أخوته من البشر — اي أنه السر الذي يمكن صاحبه من اتمام الأسرار الستة الأخرى . فليس في الكنيسة من يستطيع ان يتمم شعائر المعمودية (الصبغة المقدسة) أو مراسيم الزواج ، او غيرها من الأسرار ، غير الكاهن الذي وضعت عليه اليد وتليت عليه الصلوات الخاصة برسامة الكهنة .

والكهنوت في الكنيسة خلافة رسولية أخذه الآباء الأولون عن الرسل أنفسهم ، وسلموه لمن بعدهم والرسل بدورهم أخذوا هذا السر المقدس من المسيح (١) .

عصمة البابا :

وتنفرد الكنيسة الكاثوليكية بسر ثامن مارسته طوال تاريخ وجودها وهو عصمة البابا واستحالة ارتكابه اي خطيئة ، لأن روح القدس ينطق من خلاله ، فهو خليفة بطرس الرسول الذي أعطاه المسيح مفاتيح السماء والأرض . فكل ما ربطه على الأرض يكون مربوطا في السماء وكل ما حله على الأرض يكون محلولا في السماء .

ولم تكن عصمة البابا محل اي اعتراض من المسيحيين الغربيين خلال القرون العديدة الأولى ، وليس الا عندما قامت البروتستانتية في العصور الحديثة نسبيا ، أن وجد من انكر هذه العصمة ، ولذلك فقد احتاج البابا الى مجمع مسكوني كاثوليكي انعقد في روما عام ١٨٦٩ ليؤكد هذا السر من جديد .

ولسنا نسمح لأنفسنا أن نعلق على هذه الأسرار الا بان ننقل ما يقوله عنها « ول دورانت » وهو في ذلك يلخص قول مفكري الغرب وكتابه المحدثين .

« ان المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها ، ذلك ان العقل اليوناني المحتضر عاد الى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها ، وأصبحت اللغة اليونانية التي ظلت قرونا عدة صاحبة السلطان على السياسة اداة الأدب والطقوس المسيحية ، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية الى طقوس القداس الخفية الرهيبة ، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على أحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف . فجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس ويوم الحساب ، وأبدية الثواب والعقاب وخلود الانسان في هذه أو تلك . ومنها جاءت عبادة أم الطفل ، والاتصال الصوفي بالله ذلك الاتصال الذي اوجد الأفلاطونية الحديثة واللاادرية وطمس معالم العقيدة المسيحية » ويختم دورانت بحثه بقوله :

وقصارى القول : ان المسيحية كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم (قيصر والمسيح ص ٢٧٦).

اثر التعاليم الكنيسية على مسيحيى الشرق والغرب :

كان طبيعيا وهذه تعاليم الكنيسة المسيحية ، او بالأحرى ما صارت اليه التعاليم المسيحية ، ان يكون لها أثر عميق في نفوس معتنقيها وظروفهم وأحوالهم المعاشية والحضارية . ولكن هذا الأثر لم يأخذ طريقا واحدا في الشرق والغرب .

فحيث ظلت الكنيسة المسيحية الشرقية — وقد كان الشرق هو مهبط الديانات كلها — عنوانا على أعظم ما تمثله المسيحية وهو الدعوة الدائمة الى المحبة والرحمة والوداعة

---

(١) من كتاب أسرار الكنيسة السبعة — لحبيب جرجس — مدير الكلية الاكليريكية — نقلا عن كتاب قصة الكنيسة القبطية .

والزهد ، وحيث تحتفظ الكنيسة الشرقية بصفحة نقية خلت من ضروب العسف والانحراف والاضطهاد والعنف والقسوة أو محاربة العلم والتقدم ، فان الكنيسة الغربية سارت في طريق مضاد لكل ما تمثله المسيحية الأصلية من المعاني .

ويرجع سبب هذا الافتراق الى أن المسيحيين في الشرق وعلى رأسهم مسيحيو مصر ، شغلوا في القرون الأولى بنشر العقيدة المسيحية الأصلية في وجه الوثنية الرومانية ، فتعرضوا لما تعرضوا له من محن واضطهادات خلال القرون الثلاثة الأولى ، فقدموا للمسيحية شهداءها وقديسيها حتى انتصرت المسيحية على الوثنية الرومانية واصبحت هي دين الدولة الرسمي .

على ان ذلك لم يكد يتم، حتى انقسمت الامبراطورية الرومانية الى شرقية وغربية ، وقد ظلت الامبراطورية الشرقية تنعم بحكم مستقر حضاري في ظل الأباطرة الشرقيين ، الأمر الذي جنب الكنيسة الشرقية أو بالأحرى مسيحيي الشرق التورط في اخطبوط الحكم والادارة والسياسة ، فظلوا يلوذون بقيم المسيحية الروحية ويبشرون بل ويحيون حياة السلام والزهد والتجرد لله ، حتى لقد انتشر بين صفوفهم نظام الرهبنة والأديرة والنسك والتبتل لله (١) .

ولم يكن لذلك أثر في سير الحياة العامة التي ظلت تنطلق في طريقها في ظل السلطة الزمنية ، تعلم وتبني وتنشىء وتعمر ، ثم كان قيام الدولة الاسلامية في هذا الجزء من العالم ، وما أعقب ذلك من قيام الحضارة الاسلامية المزدهرة ، ولما كان من خصائص الاسلام التي سنعرض لها عند الكلام عنه ، اعترافه بالأديان الأخرى وخاصة بالمسيحية ، فقد استطاعت الكنيسة الشرقية أن تعيش في ظل الدولة الاسلامية ، متابعة حمل رسالتها المسيحية الأصيلة التي تتلخص في التبشير بالسلام والحب ، واضطلع المسيحيون الشرقيون بنصيبهم في بناء هذه الحضارة الجديدة ، فكان منهم المترجمون الذين نقلوا فلسفة الاغريق وعلومهم ، وكان من بينهم الأطباء والفلكيون والاداريون والماليون .

اما بالنسبة للمسيحية الغربية ، مسيحية أوربا الغربية ، حيث سقطت روما عام ٤٧٥ م في يد القبائل المتبربرة من الجرمان والقوط والوندال ، وحيث لم تستطع موجة الحضارة الاسلامية أن تنفذ الى غرب أوربا بعد موقعة بواتييه عام ٧٣٢ م فقد أصبح بابا روما هو السلطة الزمنية الوحيدة في أوربا ، وأصبحت الكنيسة هي المنظمة الوحيدة التي تستطيع أن تبث شيئا من النظام ، وتقيم حكم القانون ، وكان أن ترتب على ذلك تبدل حياة أوربا الغربية تبدلا عجيبا ، فبعد الحضارة الاغريقية والرومانية التي لا تزال تروعنا حتى الآن بآثارها الفكرية والفنية ومنشئاتها ومبانيها الاعجازية ، ترديت أوربا فيما يوصف بأنه خمول تاريخي وذبول حضاري ، وغرقت أوربا فيما يسميه علماؤها ومؤرخوها بالعصور الوسطى المظلمة ، حيث توقف كل علم وكل تفكير وكل تقدم أو تطور ، وجمدت الحياة وأصيبت بالشلل .

وحسبنا أن ننقل لك فقرة واحدة من مئات وألوف الفقرات بل الكتب

---

(١) الاجماع على أن نظام الرهبنة قد خرج من مصر .

التي وضعها الأوربيون وصفا لحالة أوربا طوال خمسة قرون ، وهي من قول العلامة الأمريكي المؤرخ درابر :

« لقد كانت أوربا في ذلك العهد غاصة بالغابات الكثيفة بعد أن أهمل الناس الزراعة ، وكانت المستنقعات قد كثرت حول المدن ، فكانت تنتشر فيها روائح قتالة اجتاحت الناس حيث يستغيثون ولا مغيث . وكانت البيوت تبنى في باريس ولندن من الخشب والطين المعجون بالقش والبوص ، ولم يكن لها نوافذ أو أرضيات خشبية أما الأبسطة فكانت مجهولة لديهم ، وكان يقوم مقامها القش فينشرونه على الأرض ، ولم يكونوا يعرفون المداخن ، فكان الدخان يطوف بالبيت ثم يتسرب من ثقب صغير صنعوه له في السقف فكان الناس في هذه البيوت معرضين لكل أنواع الاصابات الخطيرة . وكان الناس لا يعرفون النظافة ، فيلقون بأحشاء الحيوانات وأقذار المطابخ أمام بيوتهم اكواما تتصاعد منها روائح قاتلة ولا رقيب ولا حسيب . وكانت الأسرة الواحدة تنام في حجرة واحدة من رجال ونساء وأطفال وكثيرا ما كانوا يؤون معهم حيواناتهم المنزلية » .

« وكان السرير عندهم عبارة عن كيس من القش فوقه كيس من الصوف يستخدم كمخدة . وكانت النظافة معدومة لديهم فلا يعرفون لها رسما ، وكان الغني منهم لا يأكل اللحم الا مرة في الأسبوع . ولم يكن للشوارع مجار ولا بلاط أو مصابيح ، وكان من أثر الجهالة المنتشرة في أرجاء أوربا أن عمتها الخرافات والأوهام ، فانحصر التداوي في زيارة الأماكن المقدسة ، وماتت الطب وراجت أحابيل الدجالين ، وكان اذا دهم البلاد وباء فزع رجال الدين الى الصلاة ، ولم يلتفتوا الى أمر النظافة فكانت الأوبئة تفتك بهم فتكا ذريعا ، حتى أنها زارت أوربا عدة مرات فاجتاحت ملايين من أهلها في أيام معدودة (١) .

ويضيق بنا المجال لو حاولنا أن نحدثك عن الحروب الدينية التي غرقت فيها أوربا ، وعن محاكم التفتيش التي أحرقت عشرات الألوف من الأحياء بدعوى الهرطقة والكفر والالحاد . وحرق جان دارك التي أنقذت فرنسا من الاحتلال الانجليزي هو نموذج لمن كانت تحرقهم الكنيسة ، وحرق برونو وهوس ، نموذج آخر لمن كانت تحرق من دعاة الاصلاح ، وطالبي العلم .

ولا نريد أن نستطرد فنحدثك عن الحروب الصليبية ، والتي كانت وبالا على المسيحيين الشرقيين أنفسهم قبل أن يصلى بحرها المسلمون ، وليس هناك ما هو آلم على أنفسنا من أن يضطرنا البحث العلمي أو التاريخي ، لأن نشير الى ما فعله الصليبيون عندما أقسموا أن يخوضوا في بحار من دم المسلمين وأن يقيموا جبالا من الجثث والجماجم ، وكيف بروا بقسمهم فكانت النساء يقتلن طعنا بالسيوف والحراب والأطفال الرضع يختطفون من فوق أثداء أمهاتهم ويقذف بهم من فوق الأسوار أو تهشم رؤوسهم بدقها بالعمد . وذبح السبعون ألف مسلم الذين ظلوا في المدينة ، أما اليهود الذين بقوا أحياء

---

(١) وذلك في الوقت الذي بلغت فيه الحضارة الاسلامية في الاندلس الذروة (اقرأ للمؤلف « تاريخ الانسانية » .

فقد سيقوا الى كنيس لهم واشعلت النار فيهم وهم أحياء .

ثم توجه المنتصرون وعيونهم تفيض بالدمع وقلوبهم تخفق بالعرفان بالجميل للمسيح المخلص الحمل الوديع رب الحب والسلام (١) .

تلك كانت حالة أوربا المسيحية الغربية ، عندما كانت الكنيسة هي صاحبة الحكم المطلق ، وهذا هو مدى تطبيقها تعاليم المسيحية واثر هذه التعاليم في المجتمع الأوربي . ويصبح السؤال الآن :

متى وكيف نهضت أوربا المسيحية ؟

ذلك أنه اذا كان هذا هو ما انتهت اليه أوربا تحت حكم الكنيسة الغربية من جهل وتعصب وعنف وحروب وقسوة ، فمتى وكيف نهضت أوربا بعد ذلك ؟ .

يجمع المفكرون والمؤرخون الأوروبيون ، أن أول اشعاع من نور في ظلمات العصور الوسطى ، قد جاء عبر الأندلس الاسلامية وعبر صقلية ، وجاء من خلال احتكاك الأوربيين بالمسلمين من خلال الحروب الصليبية .

وجاء ثانيا نتيجة حركة الاصلاح الديني التي قام بها مارتن لوثر عام ١٥١٧ ، حيث أنكر مارتن لوثر حق البابا في بيع صكوك الغفران ، بل وأنكر عليه حق منح الغفران بأي وجه من الوجوه، وحطم احتكار الكنيسة لقراءة الانجيل وتفسيره ، فترجمه الى اللغة الألمانية وخول لكل مسيحي حق مطالعة الانجيل ، ومن هنا تطلق الكنائس البروتستانتية على نفسها اسم الكنائس الانجيلية ، وتتابعت حركات البروتستانت تقوض من سلطان الكنيسة وأسرارها وترفض فكرة العشاء الرباني وأن الخبز والخمر يتحولان الى جسد المسيح ودمه حقا وصدقا ، وترفض عبادة الصور والتماثيل ، وتنكر على الكنيسة غفران الذنوب .

وقد صادفت هذه الحركة هوى في نفوس بعض ملوك أوربا وأمرائها فحموا القائلين بها لأول مرة من الموت على المحرقة . واستقلت كنائس كل دولة تحت زعامة ملكها وسيدها .

ثم كانت سلسلة الثورات ضد الكنيسة ، والتي شملت العقيدة من أساسها ، ابتداء بالثورة الفرنسية وانتهاء بالثورة الشيوعية ، وأخيرا بسيادة التعاليم المادية والاغراق فيها، كما هو الشأن في الولايات المتحدة الأمريكية حيث تضاد حياة الأمريكيين كل حرف من حروف المسيحية ، فبينما تدعو المسيحية للفقر والزهد فيقول السيد المسيح للرجل الغني :

« ان كنت تريد أن تكون كاملا فاذهب وبع كل شيء لك واعطه للمساكين فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني . فلما سمع الشاب هذا الكلام مضى حزينا لأنه كان ذا مال كثير . فقال يسوع لتلاميذه الحق اقول لكم انه يعسر على الغني دخول ملكوت السماوات . وأيضا اقول لكم انه لأسهل ان يدخل الجمل من ثقب الابرة من أن يدخل غني في ملكوت السماوات . (متى الاصحاح التاسع عشر) .

---

(١) المؤلف — تاريخ الانسانية .

وفي مقابل هذه الصورة ، ترتفع صورة التسامح الاسلامي التي أذهلت الاوربيين عندما أعاد صلاح الدين فتح بيت المقدس وحقن دم كل من كان فيه .

نقول حيث يدعو المسيح للفقر والزهد ، فيكاد كل من في الولايات المتحدة يحارب من أجل الغنى ، وهو على استعداد أن يفعل كل شيء من اجل الحصول على هذا الغنى ، ولا يقاس أي انسان أو اي أمر من الأمور الا من خلال الدولار ، حتى قيل بحق أن الدولار هو معبود الكثرة الغالبة من الأمريكان .

وحيث يطلب المسيح من اتباعه ان يحبوا أعداءهم وأن يحسنوا الى مبغضيهم فان الطائرات الأمريكية تدق بلا شفقة ورحمة شعب فيتنام الصغير الذي يبعد عنهم عشرات الألوف من الأميال ولم يعتد عليهم .

بل ان المجتمع الأمريكي ليقف على النقيض من ادق تفاصيل الشريعة المسيحية ، فحيث يقول السيد المسيح : قد قيل لكم ان من طلق امراته الا لعلة الزنا فقد جعلها زانية ومن تزوج مطلقة فقد زنا .

فقد أصبح الطلاق في الولايات المتحدة من أيسر الأمور ، بل انه ليحصل عليه لأسباب تدعو في كثير من الاحيان الى السخرية .

ولعل هذا التباين الشديد بين ما تدعو اليه المسيحية وما أصبح يحيا عليه الأوربيون والأمريكان ، هو الذي جعل دائرة المعارف البريطانية والمفروض فيها أنها أعظم كتاب معارف لدى الأوربيين والأمريكان تقول تحت عنوان كلمة « مسيحية » في المجلد الخامس « ان تاريخ المسيحية وتعدد الكنائس وشيع المسيحيين وفرقهم ، ولد الشعور لدى بعض الباحثين ان ليس **للمسيحيين شيء يشتركون فيه سوى الاسم »** .

ومما يزيد في تقوية هذا الشعور محاولة بعض الشراح تلخيص جوهر المسيحية في أنها « أبوة الله وبنوة الانسان » ومثل هذه العبارة قد تعني الكثير جدا كما قد تعني القليل جدا كذلك حسبما يستخلصه الانسان منها .

لا ارتباط بين المسيحية وبين ما عليه اوربا وأمريكا

يخلص من كل ما سبق أنه لا ارتباط بين ما يمكن ان يكون عليه الاوربيون والأمريكان من قوة وتقدم مادى وبين المسيحية كدين ، فهم لم يصلوا الى ما وصلوا اليه الا بعد أن انسلخوا عن المسيحية كما تصورها الكنيسة الغربية ، ، والا بعد أن القوا تعاليم المسيح الأصلية وراء ظهورهم .

وذلك على خلاف الاسلام كما سوف نرى ، فحيث تشرب المسلمون عقيدته وجوهر تعاليمه كانت لهم هذه الحضارة الزاهرة التي فاقت كل ما سبقها من حضارة .. ولم يتدهور المسلمون الا بعد أن فقدوا الروح الاسلامية الأصيلة . وسوف نرى كيف أن لا سبيل لاستعادتهم ارقى درجات الحضارة الا من خلال الروح الاسلامية مرة اخرى . ولكن لا يزال علينا ان نستعرض قبل ذلك ديانة اخرى عالمية هي الديانة البوذية فالى المقال القادم ان شاء الله .

- الشكر على نعمة الماضي أمل في نعمة المستقبل .
- الأشياء العظيمة لا ترى الا على بعد .
- اذا تحققت كل رغباتنا ضاعت اكثر لذائذنا .
- الجهل لا يحسم نزاعا .

صلاة المسلمين

لماذا لا تجوز إلا بالعربية فقط؟

ترجمة الاستاذ مصطفى الزرقا
خبير الموسوعة الفقهية
بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

من المعلوم أن المسلمين يعتمدون اللغة العربية حتما في القيام بعمل الصلاة ، التى تشتمل أيضا فيما سوى الأقوال على حركات فيها تعبير رمزى ، وأنهم يتلون مقاطع من القرآن ، ويتلفظون بصيغ كلامية ، تؤكد عظمة الله وخضوع الانسان ، يفعل ذلك العرب وغيرهم على السواء ، حتى الذين لا يفهمون كلمة من العربية ، كان ذلك من عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يزال كذلك ، مهما اختلفت الظروف والمواطن واللغة الوطنية الأم للمسلم .

قد يبدو لأول نظرة طبيعيا ومستحسنا أن يوجه المؤمن صلواته وأدعيته من أعماق ضميره وشعوره بما يقول ، ولغة الأم هى الوسيلة الأفضل لهذه الغاية . وقد يتصور من هذه الناحية أفضلية لتأدية الصلاة باللغة التى يتكلمها المسلمون في الزوايا الأربع من العالم . ولكن اعتبارا ونظرا أعمق من ذلك ، يظهر منه أن هناك أسبابا وجيهة تناقض هذا التفكير والتصور ، أى توجب الاقتصار على اللغة العربية ، وذلك للاعتبارات التالية .

١) فهنالك أولا مبرر اعتقادى (ميتافيزيكى) أو نفسى . ذلك انه بمقتضى نص القرآن (١) (٣٣ — ٦) تعتبر زوجات الرسول أمهات للمسلمين ، ونحن نعلم أن جميع زوجاته المكرمات يتكلمن العربية . فبذلك تعتبر اللغة العربية هى لغة الأم لجميع المسلمين . وحينئذ لا يبقى مجال لأية ملاحظة قائمة على أساس ضرورة اداء الصلوات بلغة الأم .

٢) واذا اعتبر هذا المبرر غير كاف للاقناع ، فاننا ننطلق بالنظر الى أبعد ، فنلاحظ انه بمقتضى العقيدة الاسلامية يعتبر القرآن كلام الله (سبحانه) وأن تلاوته معتبرة بمقتضى نصوصه نفسها من القربات المطلوبة . فمن الناحية الروحية يسيح المؤمن سياحة الى الله (تعالى) بواسطة تلاوة كلامه المقدس . والنص الأصلى لهذا الكلام الموحى به الى رسول الاسلام هو عربى . فمهما تكن الترجمة له من الدقة بمكان فانها لا تخرج عن كونها من صنعة الانسان وكلامه . وهذا لا يمكن ابدا ان يؤدى الغاية من تلك السياحة الروحية التى تتحقق بالصلاة .

٣) وبالنسبة لمن يفتشون عن سبب مبرر اقوى نقول انه يجب التمييز الدقيق بين الصلاة بمعنى الدعاء ، والصلاة بمعناها الخاص في صورة عبادة الله ، فأما الدعاء وهو المعنى الأصلى العام للصلاة غير الصورة الخاصة بعبادة الله ، وهو ما يسمى (مناجاة الله) ، فانه لا اعتراض أبدا على حرية الانسان ، في ان يوجه حاجاته وتوسلاته الى ربه بأية لغة يختارها ، وأى وضع يكون عليه . ذلك لأن هذه صلة شخصية خاصة بعلاقة فردية بين المخلوق والخالق .

اما الصلاة (بمعناها الخاص) ، اى العبادة المفروضة في صورتها الاسلامية المشروعة ، فهى عمل عام ذو صفة جماعية ، يجب النظر فيه الى بقية الرفاق المصاحبين في صلاة الجماعة . فصلاة المسلم هذه يجب مبدئيا أن تؤدى بصورة مشتركة مع الآخرين (جماعة) ، ذلك لأن أداء الصلاة فرديا صحيح ، ولكن المطلوب المفضل اداؤها بقيادة أمام (جماعة) .

٤) لو كان الاسلام دينا اقليميا أو قوميا أو مرتبطا بعرق بشرى ، لكان من المحتم فيه أن تستعمل في الصلاة لغة ذلك الاقليم او العرق أو القوم . أما في ديانة عالمية فالأمر بالعكس تماما حيث يتكلم المؤمنون بها مئات اللغات المحلية ، ولا يفهم احدهم لغة سواه من الأجناس البشرية الاخرى .

ان حياتنا تزداد كل يوم اتساعا نحو الصفة العالمية ، وان كل بلد فى الأرض يستقبل فعلا ويؤوى الكثير من المسلمين من مختلف المجموعات اللغوية .

■) في الواقع لا يوجد دين واحد على وجه الأرض سوى الاسلام يملك اليوم النص الاصلى للوحى الذى يقوم على اساسه ، والنصوص الأصلية لتعليمات مؤسسه . فالمسيحيون واليهود والمزدكيون ، وسواهم من الجماعات

---

(١) قوله تعالى « النبى أولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه امهاتهم ... »

الدينية ، لا يوجد لدى فئة منهم سوى ترجمة للنص الأصلى في ديانتهم ، او سوى قطع متفرقة منه على الأكثر . فاى سعادة او ثقة تعادل ما للمسلمين الذين هم الاستثناء الوحيد من هذا الواقع ، اذ يملكون النص الأصلى لوحى الاسلام وهو القرآن الكريم ؟!

٦) علاوة على ما تقدم يلحظ ان القرآن — وان كان نثرا — هو مشتمل على جميع خصائص الشعر وعذوبته من الجرس اللفظى ، وتوافق الفواصل ، وجزالة التعبير وبلاغة الأداء ... بحيث أن حذف حرف واحد من جملة ، او اضافة حرف اليها ، يورث فيها خللا واضطرابا ، كما لو حصل ذلك الحذف او الاضافة في بيت من الشعر الموزون .

٧) يرى كاتب هذه السطور شخصيا ان اى مسلم لا يمكن ان يعطى اى ترجمة للقرآن من الاحترام الديني ما يعطيه لنص القرآن الأصلى الموحى به من الله سبحانه الى رسوله . ذلك لأن الترجمة هى صياغة شخص عادى ، وليست صياغة جهة معصومة محمية من الخطأ كما هو الشأن فى نبى .

٨) وختاما نشير الى انه يوجد فريق من الكتاب يحتجون بأن بعض المجتهدين الكبار ، كالامام ابى حنيفة ، كان يرى جواز تلاوة ترجمة القرآن فى اداء الصلاة . ولكن هؤلاء الكتاب ذكروا جانبا واغفلوا جانبا آخر . فان الامام ابا حنيفة ، وان كان قد راى هذا الراى في بداية امره ، قد رجع عنه بعد ذلك ، ووافق رأى الأئمة الآخرين (وهذا هو المذكور في كتب المذهب الحنفى ، ككتاب الهداية للمرغينانى ، وكتاب الدر المختار للحصكفى ، وغيرهما ..) وان ابا حنيفة ايضا يقول بأنه في الحالات العادية الطبيعية لا يجوز في الصلاة تلاوة القرآن بغير العربية .

وفي الواقع يوجد حكم استثنائى للضرورة كما في حال الشخص الذى يسلم من جديد ولا يعرف العربية . فهذا يجب عليه ان يبدأ فورا بأداء الصلوات الخمس يوميا ، وهى تشتمل على تلاوة الزامية لقسم من القرآن حفظا عن ظهر قلب . فيرخص له بتلاوة معانى بعض الآيات باللغة التى يعرفها ، الى ان يتعلم ما يكفى للصلاة بالنص العربى . وفي هذه المسألة يوجد سابقة هامة من سلمان الفارسى الذى ترجم سورة الفاتحة الى الفارسية ، لكى ترسل الى اناس من المؤمنين الفرس ، وذلك بترخيص من الرسول نفسه (كما فى كتاب تاج الشريعة ، والنهاية حاشية الهداية : فصل الصلاة) . وهؤلاء الأعاجم استعملوا هذه الترجمة الى أن ائتلفت السنتهم ، ومرنت على النص العربى . وهكذا يمكن للمسلمين الجدد ان يستعملوا ترجمة القرآن بصورة مقبولة كأصله العربى لمدة أيام او لمدة ساعات بحسب الحاجة والحال .

يستخلص من كل ما تقدم ان كل مسلم بمقتضى الوحى القرآنى يختار دائما اللغة العربية ، اللغة الأم للرسول . وهكذا يظل الاسلام المصدر الحى الخالد للغة العربية .

مترجمة عن المجلة الفرنسية
" فرنسا والاسلام "
عدد آذار / ١٩٦٧ م

من قضايا
قضية
المرأة

٤

حول مبررات عمل المرأة

للأستاذ البهى الخولى

- ١ -

لقضية عمل المرأة فى الغرب مشاكل اقتصادية واجتماعية لا تنتهى . فمنظمة الامم المتحدة — مثلا — عجزت الى اليوم عن تحقيق المساواة « العملية » فى الاجور بين الرجل والمرأة ، ورجال الاعمال ومؤسساتها يرفضون تلك المساواة بمنطق الانتاج الذى لا يحتمل مكابرة .. ورجال الاجتماع والادب وعلماء النفس يرون أن العمل على ضوء النتائج التى انتهى اليها — معطل لأسمى خصائص المرأة ؛ ووظائفها الطبيعية والاجتماعية ، وان المجتمع بدأ يجنى من ذلك انحلال الروابط وابتذال كثير من القيم ..

وقد بدأنا — نحن العرب والمسلمين — ندخل تجربة عن المرأة ويوشك ان يكون لنا من مشاكله ما للغرب ؛ فتركنا قضية الحجاب والسفور ، وأخذنا فى قضية العمل ، وما له من مبررات ، وما تحتمل من نتائج .. وقد يكون من مفاتيح الوصول الى لب هذه القضية بالنسبة لنا ان نسأل : لماذا تعمل المرأة بعد أن لم تكن تعمل ؟.. أى لماذا تترك البيت وتتكسب فى الخارج ؟.

وقد يمكن تلخيص ما يقال من المسوغات لذلك ما يأتى :

١ — ان عمل المرأة يوسع آفاقها ، ويبرز وينمى مقومات شخصيتها ، ويقيها السأم القاتل الذى يورثها اياه بقاؤها الطويل ، او فراغها الذى تقضيه بين اربعة جدران ..

٢ — ان مجد الامة فى كثرة الايدى العاملة ، وان المرأة نصف المجتمع ، وليس مما يتحقق به هذا المجد ان يكون نصف المجتمع عاطلا ..

٣ — مساعدة من يعولها .. وقد تكون لا عائل لها ، فتعول نفسها بالعمل .. وقد يتوفى زوجها ، ويترك لها اطفالا عاجزين عن العمل ، ولا شىء لهم ولا لها ، فتجد فى العمل عصمة لها ولاولادها من الضياع ، وهى مع ذلك « انسان » ومن كرامتها ان تستقل بطلب عيشها ، فلا تكون عبئا على سواها ، وانما يكفل لها تلك الكرامة ان تعمل ..

ومن الضرورى لمناقشة تلك المبررات أن نستعيد في الذهن ما قررنا لها من أهلية اقتصادية واجتماعية لا تقل عن الرجل .. وكذلك علينا أن نبين ما قرره لها الاسلام من حق فى التعليم ، هو واجب عليها فى الوقت نفسه فى قوله عليه السلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (١) وهو نص يشمل الرجل والمراة باتفاق علماء الاسلام .

ولقد القى الاســلام على كل من الرجل والمراة امانة الدين ، وهى اوكد أمانات الحياة بل عمادها ، وجعل كلا منهما مسؤولا مسئولية خاصة عن تصحيح عقيدته وعبادته وخلقه وعمله — كما قدمنا فى بعض المقالات — فما لم يتعلم كل منهما احكام العبادات ، وما يتضمن من روابط الصلة بالله ومناهج التهذيب .. وما لم يتعلم أصول العقائد ، وما تتضمن من فلسفة الحق ، وسنن الاجتماع ، وأمهات الاخلاق ، وغايات الحياة ، ومبادىء السلوك ، ما لم يتعلم ذلك ، وكله من لباب العلم الذى تتضح به دقائق الكون ويبرأ المرء من شقوة الحس وظلمة المادية وقع فى اثم التقصير ، وعرض نفسه لمهانة التخلف فى الدنيا والآخرة ، والله تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » وكلمة الذين شاملة للمؤمنين والمؤمنات بصفة قاطعة ، ولن يستطيع أحد منهم أو منهن أن يقى نفسه واهله النار الا اذا تعلم حق ربه وحق حياته ، ولا جرم كان التأهيل لذلك من حقه وحقها قبل المجتمع .

ذلك الى أن القرآن الكريم نظم العلاقة بين الزوجين على قاعدة من قوله تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » وهى قاعدة تذهب فيها المراة بطائفة من الحقوق والواجبات ، ويذهب الرجل بمثلها ، فهل تنجح الحياة الزوجية دون معرفة تلك الحقوق والواجبات ؟

ان قانون (القوامية) وحده — مثلا — فى قوله تعالى « الرجال قوامون على النساء » أو قانون السكن فى قوله « لتسكنوا اليها » يتطلب دراسات نفسية واجتماعية دقيقة لبيان مكانه من الحياة الزوجية وضرورته لها .. فاذا كان لذلك ونحوه أثره العملى فى التقارب الفكرى والوجدانى بين الزوجين ، فهو يعنينا من ناحية أنه باب من المعرفة له اثره فى شحذ ملكات الفكر ، وتعدد جوانب النفس ، وجه الاسلام اليه كلا من الرجل والمراة لتنظيم الحقوق والواجبات .

ويقول عليه السلام : « والمراة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها » وهى مهمة متعددة الجوانب ، منها الاقتصادى ومنها الطبى ، ومنها الاجتماعى ، ومنها التربوى الفلسفى ، ومنها الادارى .. فكيف تسوس — مثلا — دخل زوجها وماله ؟ وهو موضوع نجرى فيه على الارتجال ، ونعتبر من ترتب لنفسها « ميزانية » شهرية ربة بيت مثلى ، بينما التخطيط المقتضب هو كالارتجال لا يدرك خطورة العامل الاقتصادى ، وارتباطه الحسى باستقرار الاسرة ومصيرها ، اذ هو العامل الاول الفاصل فى الاستقرار والمصير ، وتخطيطه الحق يقتضى اعتبارات وثقافات لا بد من تيسيرها وتوفيرها للمراة لتسلم لها مسؤوليتها عن هذا الجانب ..

---

(١) رواه ابن ماجه .. وقال العراقى فى تخريج الاحياء : صحح بعض الائمة طرقه .

وكيف تسوس الطفل ؟.. ولا أعنى سياسته فى رضـاعه ، وطعامه وشرابه ، ولباسه ونومه ومرضه فحسب ، بل اعنى الى ذلك سياسة عقله وخلقه . فالطفل جهاز حى لاقط — بغير وعي — لكل ما يبدر منها من سمات الفكر والخلق ، فكيف تجعل سلوكها سياسة تربوية مرتبة للايحاء بأقوم مناهج الفكر والخلق ؟..

ان مكانها منه وهو فى دور امتصاص الايحاء بلا حساب هو اخطر موقف يقومه انسان من انسان ، فكيف توحى اليه — وهو فى هذا الطور الخطير — افضل العقائد والقيم والسلوك ؟.. ان ذلك وحده يقتضى منها دراسات جادة متعددة الجوانب فى الدين ، والفلسفة ، وعلم النفس — ولا سيما الطفولة — والاخلاق ، والفن ، والاجتماع .. على الا تكون دراسات نظرية للتكمل بالمعرفة ، بل لتزكي نفسها وخصائصها ، وتترجمها التزامات تندمج فيها بفكرها ووجدانها ، حتى تحقق نموذج القدوة الكامل الذى يكون سلوكه صورة غير متكلفة كما يراد ايحاؤه للطفل .. ولا نطيل بمناقشة جوانب تلك المهمة ، فحسبنا ما قدمنا ، ولكنا بصدد مسئولية (ربة البيت) عن عامة أماناتها ، فان الاسلام لم يقرر تلك المسئولية الا وهو يقدر ، ما تقتضيه من ألوان الثقافة والعلم ، ويفترض مسئولية المجتمع عن تيسير ذلك ، أما حقها فيه فمفروغ منه لا يحتاج الى تقرير .

هذا واعتبار المراة (ذات مسئولية) له اثره فى حياتها الفكرية والنفسية ، فان الاحساس بالمسئولية هو فى الواقع (احساس بالذات) وباعث الاستجابة الى الواجب ، ومن ثم فهو مناط الاحساس بالكرامة واهمية الوجود .. ذلك الى انه ينبه فيها جوانب غافلة او خاملة الى التزامات فى آفاق عدة ، فتدب فى نواحى النفس الوان من النشاط والحركة ، ويمتاز الفكر بتعدد جوانب النظر ، فهو اعتبار له اثره فى دعم الوجود واكتمال الشخصية ..

— ٣ —

على ضوء هذا يمكن ان نناقش مبررات عمل المراة بشيء من التحليل يبين ما فيها من اصالة او زيف متجردين من العصبية للقديم ، والهوى للحديث ، معتمدين العقل والفطرة ، وسنن الله .

فأما ان عمل المراة — بصفة عامة — يوسع آفاقها .. الخ ، فحق لا تنازع فيه ، بل يجب أن نوفره لها .

والذين نظروا فى هذا المبرر ، استنبطوه من جهل المراة فى الجيل الماضى والاجيال السابقة له ، وبقاياه الماثلة بيننا الآن ، اذ لم يكن لها من الالمام بعلوم الحياة والدين ، والوان الثقافة والادب والفن ما ينير ذهنها ، ويصقل ذوقها ، ويصلها بآفاق من الحياة ، ويعرفها بقيمتها وحقها ، ورسالتها فى داخل البيت وخارجه ، فأورثها هذا الجهل ضيق المجال الحيوى ، والافق الذهنى وضمور الشخصية ، حتي لم يكن لها من قدر فى نفسها — غالبا — الا انها كائن للحمل

والولادة ، وعمل البيت ، في أسلوب آلى محجوب عن الاستنارة التى تنظم ذلك ، وتتبين أهدافه السامية التى ينطوى عليها أو تستتر خلفه .

ومن المعروف أن وراء زوجية الجنس زوجيــة أخرى روحيــة ، ثمارها السكن ، والمودة والرحمـة .. وان وراء الامومة التى هى مجرد حمل وولادة ورضاعة ، امومة اخرى روحية يبث الله بها فى فطرة الولد ــ جنينـا وغير جنين ــ استعدادا روحيا يعظم به قدر الوالدين ، وينبعث الى حبهما ، والمبادرة بخدمتهما وبرهما ، ويتبع ذلك فى المجتمع من آثار وروابط سامية ما يتبعه .

وقررنا ايضا ان حقيقة وجودها هو انسانيتها ، التى تتضمن جوهر فضائل النفس والقيم العليا ، وان عليها رسالة فى الاصلاح الاجتماعى والسياسى تحرس بها قيم المجتمع ، وتقوم سياسته فى كل شأن من شئون الدولة .

وبينا ان طلب العلم ليس مجرد حق للمراة ، بل هو فريضة عليها يجب على المسئولين عنها ــ وليها أو المجتمع ممثلا فى الدولة ــ ان يمكنوها منه .. وان العلم المطلوب ، هو العلم بدينها وكل معرفة تنير ذهنها وتقوم ضميرها وتصلها بآفاق الحياة العامة ، وتبصرها بأصول مهمتها ..

قدرنا ذلك كله باعتباره بعض الخطوط الاصيلة التى ينظم بها الاسلام وضع المراة فى الحياة .. ولا شك فى أنه لو جنب المجتمع الاسلامى عوامل الدمار والتخلف التى اعترضته فى الماضى ، واتيح له فى كل عصر ان يقيم وضع المراة على تلك الاصول بقدر ما يتيسر له من ثقافة وعلم ، لكانت المراة المسلمة اليوم بين نساء العالم قاطبة مثالا فرداً لا يسامى ، ولا يدانى فى كرامتها وثقافتها ، وعلو منزلتها وقيادتها ، وعمق أثرها ووضوحه فى الحياة ، بمـا تحقق داخل البيت وخارجه من أهداف وقيم سامية ، ولكانت مضرب المثل ، ومنار القدوة فى الشرق والغرب .. فاذا كنا صادقين فى نشدان العلاج الحق لما تعانى المراة من ضيق الذهن وضمور الشخصية ، وعزلة عن الحياة ، وسأم من الفراغ ، فان ما قدمنا من منهج الاســلام الجامع يحقق فوق ما يدور بأحلام المصلحين من غايات وآمال ..

نعم ليس فيه ان تخرج المراة الى مصنع او بنك ، أو مؤسسة أو نحوها . ولكنا ننشد علاج علة ، فاذا تيسر لنا ذلك العلاج على أوفاه وافضله مع اقامتها على شأنها الطبيعى ، وواجبها نحو المجتمع فهو أولى ــ بلا نزاع ــ من أى علاج يقتضى تغييرا ما .. والا طلبنا غيره .

وهذا منهاج الاسلام يكفل لها ــ بل يفرض عليها ــ من الثقافة والعلم ما لا نجده فى شريعة من الشرائع ، ونحسب ذلك ليس موضع خلاف .. وعملها الاصلاحى والسياسى فى حراسته قيم المجتمع وتنميتها ، وتقويم الاتجاه العام ، ومراقبة اداة الدولة ، كتابة ، وخطابة ، ومشاركة فى الاندية ، والجماعات ،

والمنظمات ، العاملة لذلك نيابية وغير نيابية .. وما تكسب فيه من خبرة ، وما تلقى من اجله من رجال ونساء من نماذج شتى ، ذوى مواهب وامزجة متباينة ، وتجارب كثيرة — ذلك كله جدير بان يملأ فراغ نفسها ووقتها بمشاغل قيمة ، تشعرها بنفسة الحياة ، وبأنها فى نفسها ذات قدر واهمية ، ويوسع آفاقها وصلتها بالحياة ، وينمى مقومات شخصيتها أبين واقوم ما تكون ، على مثال لا يبلغه — قطعا — عملها فى ديوان أو نحوه ، فضلا عن اننا لا نجد من يقول : ان قيامها بطرق الحديد فى مصنع ، او لف البضـــاعة فى الورق للزبائن فى متجر ، او عرض الملابس فى المعارض والصالات او قبض اثمان المشتريات ، او نحوه هو اجدى من ذلك — عقلا ، وروحا واحساسا بالسعادة والأهمية — فى الملاج الذى ننشده .

ذلك الى أن قيام المرأة فى بيت زوجها راعية لماله ، مدبرة لأمره ، مدركة لاهداف زوجيتها وامومتها ، عاملة لها فى ثقافة وصدق ، كاف لملء الفراغ .. فراغ قلبها ، وعقلها ، ووقتها الذى تشكوه .. وقد يكون هذا مدعاة جدل اذا انفردنا بتقريره ، ولكن اذا قررته امراة مثقفة بإملاء واقعها وتجـربتها ، فهو تقرير من ذات اختصاص ادرى بمهام الأنثى وفطرتها عن وعى ، واجدر الا ترمى بالرجعية أو عداء للمرأة ..

فهذه كاتبة امريكية — فيليس ماكنجلى — تقول فى مقال لها بعنــوان : « البيت مملكة المراة بدون منازع » « وهل نعد نحن النســاء — بعد ان نلنا حرياتنا اخيرا — خائنات لجنسنا اذا ارتددنا لدورنا القديم فى البيوت ؟ » .

وتجيب على هذا السؤال بقولها : « ان لى آراء حاسمة فى هذه النقطة فاننى أصر على أن للنساء اكثر من حق فى البقاء كربات بيوت .. واننى اقدر مهنتنا واهميتها فى الحقل البشرى الى حد أدنى اراها كافية لأن تملأ الحيـاة والقلب (1) » .. فهذه كاتبة تتكلم باعتبارها امراة « هل نعد نحن النساء خائنات لجنسنا » « اننى اقدر مهنتنا فى الحقل البشرى » وهى مع ذلك غربية امريكية ، أى من مجتمع أصبحت فيه المراة العاملة حقيقة من حقائقه ، فهى تتكلم بلسان الانوثة والتجربة ، ولهذين الاعتبارين وزنهما فى تأييد قولها اذا قالت : « ان مهمة ربة البيت فى الحقل البشرى كافية لأن تملأ فراغ الحياة والقلب » .

فاذا كان ثمة من يرى فى الاعتبار الاخير — بعد ذلك — موضع جدل له ، فانا نعتقد انه لا جدال فى ان عمل المراة الاصلاحى والسياسى فى حراسة قيم المجتمع وتنهينها .. الخ .. على المثال الذى اوردنا ، وبآثاره التى تتحقق به كاف لملء الوقت ، وعلاج آفة ضمور الذهن والشـخصية .. اى كاف لزوال المبرر الاول من المبررات التى رتبوا عليها خروج المراة للعمل .

« الحديث بقية »

---

(1) مجلة المختار عدد مارس ١٩٦٥ .

ورقات من تاريخ النكبة ٢

موقف السلطان عبد الحميد من توطين اليهود في فلسطين

نعود الى حديث المحاولات اليهودية التى حدثنا عن بعضها الشيخ على شيخ العرب ، فنقول : ان التاريخ حفظ لنا محاولة أخرى تلت تلك التى قام بها السفير اليهودى (غوش) ، وسبقت تلك التى قام بها اليهود الوقحون الثلاثة ، وعلى راسهم (مزراحى قراصوه أفندى) وهذه المحاولة يحدثنا عنها الصحفي البريطانى (كريسبى) فى جريدة اقشام (المساء) التركية ، كما نقلتها جريدة « المعرض الاسبوعى » البيروتية فى عددها ١٩٣٦ المجلد العاشر ، فى كانون ثانى (يناير) ١٩٣٣ ص ١٩ قالت الجريدة :

« أرسل المسيو « كريسبى » الى جريدة « أقشام » التركية مقالا حول القضية الصهيونية ، بمناسبة الحوادث الأخيرة التى مرت بفلسطين ، ومما جاء فى هذا الحديث بتاريخ ٢٩ تشرين الأول سنة ١٩٣٠ هذه الفقرات التى ننقلها فيما يلى الى قراء المعرض ، والتى يشير فيها الكاتب الى حادث وقع خلال سنتى ١٩٠٠ — ١٩٠١ قال :

(.. كان الدكتور هرتزل فى ذلك العهد رئيس تحرير القسم الأدبى فى جريدة (نيوفرى) فى فينا ، فأرادنى أن أسعى له فى مقابلة السلطان عبد الحميد ، بعد أن بسط لى بحزن شديد كيف أن غليوم (امبراطور المانيا) والبرنس دو بيلوف خدعاه لما رافقهما فى رحلة الامبراطور الى فلسطين . فقد وعده هذا الأخير أن

يقدمه الى السلطان . فلما وصلوا الى الآستانة اكتفى البرنس بأن عرفه الى عزت باشا (العابد) ، الذى ما كاد يصبغ القضية الصهيونية حتى غرق في بحر من اللذات ، ووجد أنها مزراب من الذهب (سبق لهذا الشخص ان ارتشى بمبلغ مليون فرنك لاقناع الدولة بالتنازل عن كريت دون حرب) . وقد قبلت ان أهتم شخصيا بقضية الدكتور هرتزل ومطالبه ، خصوصا وان هذه المطالب لم تكن تعاكس المساعى التى كنت اقوم بها يومئذ .

وبدأت بكل شجاعة عملى ، فاصطدمت بالبداية بصعوبات خفية ، ولولا مساعدة شيخ الاسلام (جمال الدين أفندى) ، « وكنت على صلة دائمة به » ، لفقدت كل أمل بنجاح مساعى ، فان هذا الشيخ اخذ على نفسه مهمة رفع كتابات الدكتور (هرتزل) وتقدماته الى الأعتاب السلطانية ، وكانت هذه التقدمات (الاقتراحات والعروض) باهرة واليك بيانها :

هرتزل يقول : ان الصهيونيين يتعهدون لقاء نزول اليهود المضطهدين فى انحاء العالم بفلسطين ، أن يدفعوا الدين العثمانى البالغ (اذا لم تخني الذاكرة ٣٣ مليون ليرة انكليزية) ، ويتعهدون كذلك ببناء اسطول كامل للدفاع عن أراضى الدولة العلية .

وفى هذه الأثناء قبل ان يعقد للدولة التركية قرضا بمبلغ مائة مليون فرنك تصرف فى سبيل التسليح العام .. ولكن هذه .. حبطت ولم تنجح ! ..) انتهى .

والذى كتبه مستر كريسبى فى هذه المذكرات هو فى الواقع تتمة لما كان يبذله هرتزل شخصيا لمواجهة السلطان عبد الحميد ، والتقدم اليه بمقترحاته الخداعة ، توصلا الى تحقيق غايات اليهودية العالمية بالاراضى المقدسة . وها نحن نقدم للقارىء ما كتبه هرتزل نفسه فى مذكراته التى طبعت بالالمانية فى تل ابيب سنة ١٩٣٤ ميلادية حول هذا الموضوع الذى اثاره مسيو كريسبى بعد الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) قال هرتزل :

(بعث السلطان الى وساما عالى الدرجة ومع الوسام جواب مفزع فى هذه العبارة :

« بلغوا الدكتور هرتزل الا يبذل بعد اليوم شيئا من المحاولة فى هذا الأمر (التوطن بفلسطين) فانى لست مستعدا لأن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب الى الغير . فالبلاد ليست ملكى بل هى ملك شعبى ، روى ترابها بدمائه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب ..) أ. هـ.

ان مذكرات هرتزل لا تحتمل المناقشة فيما تضمنته من رأى الدولة العثمانية ، وموقف السلطان عبد الحميد بالذات من محاولات اليهود ومشروعاتهم ، لاغتصاب فلسطين ، وتهويدها وتبديد سكانها وتدمير مقدساتها ! .

وأخيرا تمكن اليهود من غرز أظافر أطماعهم فى قلب فلسطين ، بعد أن أزاحوا من دربهم العائق الرئيسى الذى كان متمثلا بيقظة السلطان عبد الحميد ، وانتباهه الى أساليبهم المجبولة بالمكر والخداع والتضليل .

وباعلان الدستور (المشروطة) ، ثم زوال الحكم من يد السلطان عبد الحميد ، فتحت مصاريع أبواب فلسطين أمام تدفق اليهود ، وتقول مجلة الكلمة فى عددها الصادر بتشرين ١٩١١ ص ٤٢٣ التى نقلتها مجلة المشرق المجلد ١٥ سنة ١٩١٢ ، ص ٨ .

« ان الدستور العثمانى .. منح اليهود حق المساواة ، فلم يلبث اليهود فى تركيا أن اخذوا يظهرون للملأ ماذا يصنعون بهذه المساواة فقبل كل شىء انسلوا الى الوظائف العالية فى المملكة ، ثم لم يمض وقت طويل حتى ظهر أن مديرى دفة جمعية (تركيا الفتاة) هم يهود .. وبوجه الاجمال فان اعلان الدستور فى تركيا قد ملأ قلوب بنى اسرائيل اجمعين فرحا عظيما ، واخذوا بواسطة اعوانهم يثيرون كوامن البغضاء بين الأتراك المسلمين ، وبين سائر الشعوب المسيحية فى المملكة العثمانية .. ومما يؤكد هذه الحقيقة أن جريدة (التايمس) الانكليزية ، احدى الجرائد المشهورة عمالتها لليهود ، رأت أن تذكر اليهود بالدور الذى لعبوه فى تهييج النصارى ضد الاسلام »

« على ان تظاهرهم بنياتهم اليهودية لم يلبث أن أهاج سكان فلسطين ، ولاسيما المسلمين ، ضد الدولة العثمانية وخصوصا ضد تركيا الفتاة التى أمست من جراء استسلامها لليهود مكروهة فى أكثر أنحاء المملكة العثمانية .. » ا . هـ .

وفى معرض الحديث عن تأييد (جمعية الاتحاد والترقى) لليهود فى بلوغ مآ هم داخل الحكومة العثمانية للوصول الى مآربهم داخل فلسطين منذ تلك الأيام ، يقول عارف العارف فى كتابه : (المفصل فى تاريخ القدس ج.١.ص ٩٩) :

القدس عدد غير قليل من الدونمة (الذين سبقت منا الاشارة الى اصلهم ومنشأهم (١)) فى حكومة الاتحاد والترقى أمثال (جاويد بك) وزير المالية من سلانيك . بساريا افندى وزير النافعة من رومانيا ، ونسيم مازلياخ وزير التجارة والزراعة ، وكان ممثلا للجمعية الصهيونية ، وحسين جاهد (باتيش) رئيس تحرير جريدة طنين التركية ، فتغلغل هؤلاء فى أداة الحكم حتى اصبحت كلمتهم هى العليا .. وعن طريقهم وغيرهم من رجال الاتحاد والترقى ، سنت الحكومة قانونا يجيز للجمعيات ان تمتلك الاراضى فى فلسطين ، وسنت أيضا قانونا آخر ، أجازت بموجبه بيع المزارع السلطانية (الجفتلك ، وكانت مسجلة باسم السلطان عبد الحميد وهى كثيرة) بالمزاد العلنى . وعن طريق هذه القوانين وامثالها تمكن الصهيونيون من شراء اراضى فلسطين قبل وقوع الحرب العالمية الاولى ..) ا . هـ .

وقبيل الانتهاء من تسجيل هذه الخاطرات عن البصمات الاولى لمخالب اليهود وأنيابهم فى زحفهم المتوحش نحو فلسطين ، نرى أن

---

(١) هم اليهود الذين تستروا بالدخول في الاسلام .

نرجع بالقلم الى ما سمعناه من الشيخ على شيخ العرب عن ذكرياته خلال الحرب العالمية الاولى فيما يتصل بموضوعنا ، فهو يقول بارك الله له فى صحته وعمره :

(سنة ١٩١٦ ، خلال الحرب العالمية الأولى ، كنت فى جبهة بئر السبع مع القائد الألمانى (فون كريس) وجاءت شكوى من يهود يافا على قائد المنطقة المرحوم حسن بك الجابى ، فأرسلنى الجنرال (فون كريس) الى يافا للتحقيق فى شكوى اليهود على هذا القائد .

فذهبت ، ونزلت ضيفا على السيد على افندى المستقيم من اعيان يافا . وسألت مضيفى وغيره عن حالة حسن بك الجابى ، وعلمت ان عداوة حسن بك لليهود اسبابها علمه بخيانتهم وتجسسهم لدولة الانجليز ، واعطائهم المعلومات للانكليز عن طريق شريف مكة من نواحى العقبة .

وذهبت مع حسن بك الجابى الى تل أبيب ، فوجدتها حيا مستجدا فيه كثير ممن جاء بعد سنة ١٩١٠ م اى فى فترة اربع سنوات قبل اعلان الحرب وتحقق عندى أن مجموع اليهود بفلسطين بعد ان كان فى عهد عبد الحميد بين اربعين الى خمسين الفا اصبح الآن فوق الثمانين الفا .

وعدت الى بئر السبع ، وقدمت تقريرا الى (فون كريس) وكتبت فى التقرير ان شكوى اليهود من حسن بك الجابى اسبابها احتكارهم لأسباب المعيشة . ولم أذكر (لفون كريس) شيئا عن تجسس اليهود واعمالهم الحقيقية ، وذلك بالاتفاق مع رئيس الأركان الحربية التركى (رشدى بك ثم باشا) الذى يعلم بأن القطعات الالمانية عندها يهود يقومون بأعمال الترجمة بين الألمان والأتراك والعرب ، وانهم يشغلون وظائفهم التى تمكنهم من الاطلاع على الأسرار للتجسس على حركة الجيوش العثمانية فى جبهة سيناء ، ويرسلون ما يحصلون عليه من المعلومات الى الانجليز » .

أما بعد ..

فلقد لعبت سياط سبتيموس سفيروس (الليبى الذى تزوج عربية من حمص اسمها جولياد منة ، ثم اعتلى عرش روما على اثر انقلاب قام به ضد سلفه) فى اقفية اليهود سنة ١٣٥ للميلاد ، فغادروا القدس الشريف ، ولم يكونوا يدخلون هذا البلد الا حينما يتوجهون الى حائط المبكى (البراق الشريف) ويدندنون قائلين مع البكاء والنحيب والأمل واليأس بالعبرانية :

(من اجل القصر الذى اصبح خاليا ، نجلس فى الوحدة وننوح) .
(ومن اجل القصر الذى هدم) .
« ومن اجل عظمتنا الراحلة »
ومن اجل رجالنا العظام المائتين
ومن اجل الحجارة الثمينة التى احرقت .
ومن اجل ملوكنا الذين كرموه

نتضرع اليك ، كن رحوما بصهيون
اجمع شمل ابناء أورشليم
عجل الينا يا مخلص صهيون
انزل رحمتك فى قلب أورشليم
فلتكلل صهيون بالمجد والجمال
واعد الينا مملكة صهيون حالا
وامنح العزاء الى النائحين على أورشليم » .

« البقية على ص : ٤٨ »

نفثات

من الشعر الصوفي

شمس الحقيقة

اســــــــقياني واترعــــــا اكوابي ودعـــــاني فذاك يوم متـــــابي
اســــقياني فان ســـكرت فزيدوا ان صـــحوى بان تزيدوا شرابي
كل كاس كانمـــا نحتـــــوها من قلوب العبـــاد في المحـــراب
احتسي راحهـــا وانسى لديهـــا نســـيا قام لي بهــــذا التراب
واراني ارف الافق العـــــالي رفيف الورود غب الســـــحاب
وارى الشـــمس خير ما لاحت الشمس تبث الضياء في اعصـابي
ما هدت مقتلي الى ســنن الحق ولـــكن هـــدت عصي رغـابي

* * *

ايه يا شمس نحن عشـــاقك الهيم فبيني ولو وراء نقـــــــاب
هل ســمعت القصيد الا نســيبا في ســناك المطهر المســتطاب
غـــزلا للهـــوى به ومضـيـــات مثل ومض الضحى على الاعشـاب
نقطع اللـــيل في رجاوة لقيـــاك وندعـــو بابعـــد الاســـباب
وكان السماء تصـــغي الى النجوى وصـــمت النجوم جد عجـــاب
وكان الصـــبا تراوح منهـــا خفقـــات ملأن افـق الروابي
ما لهذا الظـــلام يفهم نجـــواي ويبـــــدو كانه متغـــاب ؟
اسقياني من خمرة الامل المنشـــود في منزه فســـيح الرحـــاب
اســــقياني فان ظفـــرت بسر فســـكوتي عن الجـــواب جوابي
التمست الرضـــا فلا باس ان القاه بين الســــهود والاوصـــاب
ورجـــوت الذي تذوق بـــه روحي ســـلافا تسـمو على الاعنـاب
ونشـــدت الهـــوى يظلل احلامي فياســـــو براحـــة الحب ما بي

روحية

للاستاذ الشاعر :
العوضي الوكيل

الى حبيب الله

لك يا حبيب الله خـير تحـية ... وعلى سـناك من القلوب سـلام

فاءت اليك الروح بعـد ضـلالها ... وهفت الى انوارك الاحـلام

مثل الشـجاعة والبطولة والحجا ... والحـزم .. لو يتـدبر الاقوام

جاهدت فى الرحمن حق جهـاده ... فسـما بعز جهادك الاسـلام

* * *

ولقـد دعانى نحو أرضـك هاتف ... عـذب الهتـاف كأنه أنغـام

تتلهف الاشـواق بين جوانحى ... ويمر عـام بالرجـاء وعـام

ويـكاد يعصرنى الحنين لروضـة ... فيهـا الحجـيج الى ثراك زحام

يا نعمة الله الـكريم لخلـقه ... بى لهفة مشـبوبة وهيـام

ان همت فى هـذا الجلال وقدسه ... وبهـاه فالعشـاق قبلى هاموا

لم امتـدح يوما سـواك وانه ... ابدا لشدوى فى الزمان وسـام

* * *

يا رب بالهـادى الامين وبالـكتاب ... القـدس قد عـزت به الايام

صـلنا بحبلك انه الحـبل الذى ... لا يعـتريه على الزمان فصـام

وابعث لنـا من نور وجهك رحمة ... تسقى كما سـقت الرياض غمام

وامسـح جراحات النفوس براحة ... جرح النفـوس بلمسـها يلتام

الطريق إلى مجتمع عصري

للأستاذ : محمد جلال كشك

عندما روعت الجماهير العربية بالخامس من يونية .. وما جرى فيه ، ذلك الذى وصفته صحيفة كبرى بأنه نصر حققته اسرائيل ، نصر لم يسبق له مثيل فى التاريخ .. ولا يمكن أن يجود الزمان بمثله فى مستقبل الأيام ..

وعندما أطلت الجماهير العربية على جيش أذلاء الارض يعربد كيف شاء فى أرض ثلاث دول عربية ، تعدادها يصل الى عشرين ضعفا من تعداد اسرائيل ..

عندما روعت بهذا الذى فاق كل تخيل وتخطى كل تحليل .. كان من الطبيعى أن تفتش عن جواب وأن تتساءل عن تفسير لهذه القارعة ! .

وعرفت الجماهير الجواب .. بفطرتها الصادقة ، وغريزتها التى لا تخطىء .. فأمتنا لا تجمع على باطل أبدا .. شهد لها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تثبت النظريات وعبرة التاريخ ، وقبل أن يكتشف دعاة الديموقراطية أن الشعوب على حق دائما ..

أعلنت الأمة رأيها واضحا لا غموض فيه ، عندما صفقت وهتفت للاشارة الى القيم الدينية فى احتفال ٢٣ يوليو الأخير ، تصفيقا من نبضات القلب وصحوة الضمير ومرارة عجز القادرين على التمام ..

ان هذه الاشارة التى نبهت كل من كان له عقل يفقه به ، قد أكدت أن فطرة الجماهير سليمة ، وأن مؤامرات التشويه والافساد التى تكالبت عليها بتحريض الاستعمار والصهيونية وتمويلهما وتدريبهما وتدبيرهما .. قد باءت بالفشل ، فلم تفسد غرائز الجماهير ، ولا شوهت فطرتها ، فما زالت مسلمة مؤمنة صادقة فى اسلامها ، واعية بما يدبر لها ، تهفو بقلبها لمن يستصرخ اسلامها .. لمن يعرف أن الطريق الوحيد للخلاص يبدأ بقولة : لا اله الا الله محمد رسول الله ..

ولكن .. ذلك الذى حدث فى الخامس من يونية .. لم يكن مصادفة ، وان كان أعجب من المصادفة ، ولا كان ضربة حظ جاءت عفوا ، وان فاقت كما قال الاسرائيليون أقصى أحلامهم .. وما كان بالحادث العارض ، الذى أفضت اليه أحداث الأيام أو حتى الاسابيع والشهور التى سبقته .. بل هو يوم موقوت ! وحلقة جاءت فى موضعها الذى رسم لها ، ضمن سلسلة طويلة من الأحداث ، نفذ بعضها ، ويعد لتنفيذ بعضها الآخر .. من أجل مخطط رسم له واعده شر استعمار عرفته الدنيا .. استعمار الرأسمالية اليهودية العالمية التى تسمى

للسيطرة على العالم ، من خلال السيطرة على الوطن العربى ، قلب الكرة الأرضية ومركز السيطرة الاستراتيجي على العالم ..

ولكي يأخذ الخامس من يونية مكانه المرتجى ضمن هذا المخطط فلا بد ان يتحقق هدفان :

- أن تزيف على الأمة العربية عبرة هذا الحدث ، فتمنع بكل وسائل التضليل من استخلاص الجواب الصحيح الذى يمكنها من مواجهة التحدى المصيرى الذى تكشف فى ذلك اليوم المشئوم ..
- أن يدلس على الأمة العربية ، فتقدم لها تفاسير مضللة ، لكى تساق الأمة العربية فى متاهات جديدة من الضلال تجرها الى خامس جديد ، والى العديد من ذلك .. حتى يبلغ المخطط الصهيونى غايته ..

ولا شك ان أعداء امتنا قد روعهم اكتشاف الجماهير واعلانها ان الحل هو الدين .. لذلك فقد سارعوا بما يملكون من وسائل دعاية وتضليل الى تزييف التفسيرات .. وسرعان ما سقط بعض المخلصين .. وغيرهم فى شراك هذه التفسيرات .. فسمعنا بحكاية المجتمع العصرى .. وضرورة ان نصبح مجتمعا عصريا ان شئنا أن نغلب اسرائيل ، وأن الهزيمة ترجع الى اختلاف مستوى التعليم بين العرب واسرائيل ! ..

لم تكن محتومة !

واول ما يتبادر الى الذهن ، انه بطرح القضية على هذا المستوى ، يعنى أننا نحول الهزيمة الى قانون طبيعى ، ما من سبيل الى تفاديه ، وأن هذا القانون سيظل يعمل لفترة طويلة من الزمن ، حتى نصبح مجتمعا متحضرا عصريا .. والقضاء على الأمية ، مجرد محو الأمية فى الوطن العربى ، يحتاج لعشرين عاما على الأقل .. فما بالك ببناء مجتمع عصرى فى مستوى اوروبا وأمريكا ؟ !

هذا التفسير (المجتمع العصرى ؟ !) يجعل من الهزيمة قدرا محتوما ويحمل التخلف وحده مسئولية ما جرى .. وانتظروا يا عرب حتى يسوق الدبابة مهندس ! ..

بل بالعقيدة

والخطورة الحقيقية فى هذا التفسير ، تكمن فى أنه يحاول ان يضلل الجماهير عن القضية الرئيسية ، قضية العقيدة .. الدين ..

فليس ثمة خلاف على أهمية الآلات ، ولا أظن أن مجتمعا من المجتمعات لا يعرف أهمية أن تكون لديه طائرات ودبابات من أحدث طراز ، حتى ولو لم يبذل أى جهد فى امتلاكها .. وشهد الله وشهد التاريخ أن الجماهير ما بخلت بشىء فى سبيل أن تمتلك ، وما رفضت يوما أن تتعلم ..

ولا نظن أن الجنس البشرى بحاجة الى من يعلمه فضل التكنولوجيا ، وأهمية المخترعات الحديثة .. وليس فى العرب اليوم من يفضل الحمار على السيارة .. أو (لمبة الغاز) على المصباح الكهربائى .. ولو كان لثوار فيتنام من سبيل الى قنبلة ذرية .. لدفعوا فيها ملايين من أرواح شعبهم ..

لماذا اذن هذا الجدل ؟ وأين هو الكشف العبقرى الذى اكتشفوه .. وهل كنا بحاجة الى مثل هزيمة ٥ يونية لنكتشف أهمية العلم ؟

وما الذى حال بيننا وبين « العصرية » طوال هذه السنوات ! وهل عرفنا

من العصرية ، الا منع الطلاق وتعدد الزوجات ، وانشـــاء الفرق الراقصة ، والهوس فى النقاش حول الاختلاط فى المدارس كأنها قضية مصيرية ؟ !

لماذا لم ننتبه الى أن « المجتمع العصرى » فى اسرائيل الذى اكتشـفوه فجأة ، يحرم الزواج المدنى ، وتلقى الجماهير فيه الأحجـار على من يعمل يوم السبت .. لماذا لم ينتبهوا وهم ينشرون ساخرين فى الصحف المصرية هذا الخبر الذى أنقله بحروفه من جريدة عربية :

(العقيدة اليهودية

(فى جنازة تشرشل !

(لندن ـــ ا.ب ..

اضطر شازار رئيس جمهورية اسرائيل (٧٦) سنة وبن جوريون (٧٨ سنة) الى السير مشيا على الأقدام مسافة ميل ونصف ميل ، وذلك أثناء تشييع جنازة تشرشل أمس الأول حيث وافق اليوم الذى تحرم فيه الديانة اليهودية على اليهود استخدام وسائل النقل ..)

الصحيفة اكتفت بوضع علامة تعجب .. ربما من قلة « العصرية » فى زعماء اسرائيل .. والى الآن لم يحاول أحد أن يفسر لنا هـــذا اللغز .. كيف يكون هؤلاء الزعماء غير العصريين ، المتدينين ، يديرون مثل هـــذا المجتمع العصرى ؟ ! ولماذا كتب علينا وحدنا أن نتنكر لديننا ان شئنا أن نصبح عصريين ؟

هل ديننا من طراز اقدم من اليهودية .. يا أولى الألباب ! ..

لا .. بل لأن الذين وضعوا المؤامرة الصهيونية قد عرفوا ومنذ سنوات ان « شعب اسرائيل » لم يحافظ على السبت فحسب ، بل ان الســبت هو الذى حافظ على شعب اسرائيل (١) .

وما دام البعض قد اختار أن يتعلم من اسرائيل .. فلماذا لا يحســنون الاختيار ..

لقد تحدث بن جوريون أخيرا عن دروس الخامس من يونية ، فماذا قال ؟

« لقد كان من نصيب شعبنا دائما ان يقف كاقلية امام الاكثرية ، ولذلك ذكر انبياؤنا (لم يخجل بن جوريون من الاستشهاد بأنبياء بنى اسرائيل .. ولا يرى فى ذلك ما يتنافى مع العصرية !) **منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة .. « انكم اقل الشعوب جميعا »** .. **ولذلك يجب على شعب اسرائيل ان يكون شـــعب قدرات وتفوق من الناحية الروحية ، بحيث يستطيع ان يقف بعظمته امام شعوب اكبر منه ، وبدون التفوق الروحى لم يكن شعبنا يستطيع ان يبقى الفى سنة ، ولا استطاع احياء وطنه »** .

هـــذا ما قاله بن جوريون .. فهل يعنى ذلك ان بن جوريون ، درويش مجذوب ؟ .. وهل صحيح أن اسرائيل بعد الحرب لم تستورد طائرات ومدافع ودبابات ؟ .. هل أوقفت اسرائيل التعليم وعكفت على تلاوة التوراة عند حائط المبكى تنشد التابوت الذى ضاع ! ..

لا .. بن جوريون سفاح أشر ، يعرف جيدا أهمية المدافع والصواريخ .. وضرورة ضرب مدرجات الطيران قبل ضرب الطائرات ، ولا يترك صــغيرة فى التقدم العلمى الا استغلها ، ولكنه أيضا .. بل واولا ـــ يعرف كيف تأتى المدافع والصواريخ .. وكيف تنطلق فتصيب .. وبماذا تنتصر ؟ ! .. يعرف أنها تنتصر بالقيم الروحية وحدها ..

بالايمان يدفع اليهودى ويتبرع .. ويخترع ، ويسرق الاختراعات .. ويتحمس ويموت .. وبالايمان يقاتل ..

---

(١) من كلمات « آحادها عام » فيلسوف يهودى وصهيونى ١٨٩٨ .

وما ابشع ان يصدف الناس عن اللحم الطازج ويعكفون على مضغ المنتن ! ..
ما اعجب أن تعمى قلوبنا عن تاريخنا ، فلا نستخلص منه العبرة والتجربة .

فعندما خرج الحفاة العراة ، رعاة الشاء من الجزيرة العربية يدكون ملك كسرى ، ويجبرون قيصر على القاء نظرة كسيرة على سوريا ، وهو يقول : وداعا يا سوريا .. وداعا لا لقاء بعده ..

هل كان العرب متفـــوقين تكنولوجيا على فارس وروما .. ؟ ! هل كان المجتمع الاسلامي بالمقاييس المادية أكثر عصرية وتمدينا من المجتمع الروماني بكل حضـــارته وعلمه ومدنيته ؟ . أم كان أكثر تقدما وتفوقا على عرش فارس ومدنية الفرس ، وعلم الفرس ، وصناعة الفرس ؟ ..

لا .. فالعربى الذى أسر ابنة كسرى ، افتدوها منه ، فطلب الف درهم ! .. قالوا لو طلبت مائة الف لدفعنا .. رد العربى المنتصر .. كنت أحسب أن الألف نهاية العدد !

وحكى عبيد بن جحش السلمي ، قال : (لقد رايتنا وانا لنطأ على ظهور الرجال ، من جيش الفرس ، ما مسهم سلاح ، قتل بعضهم بعضا ، ولقد رأيتنا أصبنا جرابا من كافور ، فحسبناه ملحا لا نشك أنه ملح ، فطبخنا لحما ، فجعلنا نلقيه فى القـــدر فلا نجد له طعما ، فمر بنا رجل معه قميص فقـــال يا معشر العرب ، لا تفسدوا طعامكم فان ملح هذه الأرض لا خير فيه ، هل لكم أن تأخذوا هذا القميص ؟ فأخذناه منه وأعطيناه منا رجلا يلبسه . فجعلنا نطيف به ونعجب منه ، **فلما عرفنا الثياب** (تأمل) ! ، اذا ثمن ذلك القميص درهمان) .

بهؤلاء الذين لا يعرفون فى العـــــدد أكثر من الف .. والذين لا يعرفون الكافور من الملح .. والذين ما كانوا قد عرفوا بعد الثياب .. انتصر الاسلام ، ودك ملك كسرى ، وانتشروا يحكمون الأرض من البحر الأبيض المتوسط الـــى أواسط آسيا .. أفكان نسبة هؤلاء للحضارات العريقة المحيطة بهم .. أقرب من نسبة الفلاح العربى للجندى الاسرائيلى ؟ ..

فلماذا انتصر هؤلاء .. وعجزنا نحن ؟ . لأن العـــرب الأوائل كان معهم الايمان .. فقهروا به الدنيا ..

لقد فاجأهم الفرس بسلاح ما عرفوه ولا جربوه .. الفيل .. حتى انه لما جىء به الى المدينة بعد ذلك .. طافت به النسوة متعجبات ، وهن يقلن (هذا من صنع الفرس) !! ولم يصدقن أنه من مخلوقات الله ! .. ظنوه آلة أو حيلة فارسية ؟ ! .

ومع ذلك لم يجبنوا ولا فروا أمام الفيل ..

يروى الطبرى (ولما رأى سعد الفيلة تفرق بين الـــكتائب ، أرســـل الى اولئك المسلمة وأصحابهم من الفرس الذين أسلموا فدخلوا عليه ، فســـألهم عن الفيلة ، هل لها مقاتل ؟ فقالوا نعم ، المشافر ، والعيون لا ينتفع بها بعدها .. فأرسل الى القعقاع وعاصم ابني عمرو : اكفيانى الأبيض ، وكانت كلها آلفة له ، فأخذ القعقاع وعاصم رمحين أصمين لينين ودبافى خيل ورجل فقالا : اكتنفوه لتحيروه ، وهما مع القوم ، فلما خالطوهما اكتنفوهما ، فنظر كل واحد منهما يمنة ويسرة ، وهما يريدان أن يتخبطا والفيل متشـــاغل بمن حوله ، فوضعا رمحيهما معا فى عيني الفيل الأبيض ، فقبع ونفض راسه ، فطرح سائسه ، ودلى مشـــفره فنفخه القعقـــاع ، فرمى به ، ووقع لجنبه ، فقتلوا من كان عليه .. » .

ما الذى يدفع القعقـــاع وعاصم الى مواجهة الفيل الذى ما عرفوه ولا قاتلوه .. بالرماح .. وكيف تقوى أعصابهما الى حد أن يضعا معا وفي وقت

واحد الرمح فى عينى الفيل ! .. وفوقه عشرون مقاتلا ؟ ! ، وما الذى يجعل القعقاع وعاصم اليوم يغادران دبابة زنة ستين طنا من الصلب لو آوى اليها ابن نوح لعصمته من الماء والنار .. الا من أمر الله ..

لماذا .. لأن قعقاع الأمس كان يملأ قلبه الايمـــان فقهر ايمانه الفيل .. وقعقاع اليوم بلا عقيدة .. ولو استتر بألف طن من الصـــلب لما حمته ولا أمن لها .

كانت روما سيدة البحار بلا منازع ، وكان البحر الأبيض بحيرة رومانية حقا وصدقا .. من سيطرة كاملة على الشــواطىء جميعها الى التفرد بامتلاك الأسطول الوحيد العامل فى هذه المياه .. وعمر بن الخطاب .. قاهر روما .. لم ير البحر ، ولا ركب سفينة فى حياته .. بل يطلب من فصـيح أن يصف له البحر ، فيصفه بعبارات بليغة ، تفزع عمر رضى الله عنه ، شفقة على رعيته .. فيقسم الا يحمل المسلمين عليه أبدا ..

ومع ذلك طردت روما ، من شواطىء البحر الأبيض .. وما تـكاد تمضي سنوات ، حتى يكون للمسلمين الأسطول الأقوى ، وحتى ينزلوا بروما هزيمة بحرية ساحقة فى موقعة ذات الصوارى التى لا تقل اهمية عن موقعة الارمادا .

ماذا كان يملك العرب .. لا شىء سوى العقيدة « التفوق الروحى » .. الاحساس بأنهم يقاتلون من اجل قيم أفضل ، ونظرة للوجود .. للانسان .. للحياة .. أفضل من نظرة خصمهم وأحق بأن تنصر ..

انظر الى قيصر يرسل جاسوسا الى معســـكر المسلمين يتجسس له ليعرف سر انتصار هؤلاء الحفاة الذين صبروا عليهم فى حصـار حمص وقالوا هؤلاء الحفاة اذا جاء الشتاء .. تجمدت اقدامهم وانهزموا .. فما راعهم الا انهم أكثر ثباتا على الصقيع منهم فى نعالهم الثقيلة وملابسهم الغليظة ! ..

يروى الطبرى نقلا عن شيوخه .. أن قيصر بعث جاســوسه فعاد اليه بصفة المسلمين قال : « بالليل رهبان .. وبالنهار فرســان .. ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده ، ولو زنى رجم ، لاقامة الحق فيهم » .

لا أريد أن أناقش الجانب التاريخى من الواقعة ، فربما بعث قيصر ، وربما لم يبعث ، ولكن القصة تعكس فهم المسلمين لسر انتصارهم .. انه أبدا ليس التفوق التكنولوجى .. بل التفوق الروحى ..

بالعقيدة .. بها انتصروا .. وتعلموا .. وصنعوا واخترعوا .. وأثروا التاريخ البشرى ..

نقطة البدء فى كل حضارة هى .. العقيدة .. هى القيم الموجهة للجماهير .. هى الأفكار التى توجه سلوك قيادتها ..

والذين تسمموا بالغزو الفكرى ، يظنون انه مما يتنافى مع التقدم الآلى ان يتمسك المرء بدينه .. ناسين ان الباب المفضى الى المخابرات الامريكية منقوش عليه آية من الانجيل (١) .. وأن أول دبابة اسرائيلية دخلت سيناء كانت تحمل نصا من التوراة ! ..

يستخلصون لنا من أحداث الخامس من يونية .. عبرة التكنولوجيا .. ثم لا يتساءلون ما الذى جعل هذا المجتمع الذى يضم أخلاط الشعوب أكثر وحدة وأكثر تماسكا وأكثر اصرارا على الباطل ، وأكثر قدرة على انجاز التكنولوجيا والتفوق الآلى ..

لأن شازار وبن جوريون يرفضان ركوب سيارة فى لندن يوم السبت لأنه محرم فى الديانة اليهودية !

---

(١) من كتاب الحكومة الخفية .

وعندما اقترح احدهم يوم الثامن من يونية أن يلغى الاحتفال بالمولد النبوى حتى لا يتعطل المجهود الحربى .. ! صحيح أن اقتراحه قد رفض ، ولكن مجرد الاقتراح يكشف طبيعة التفكير العصرى الذى قادنا الى ما صرنا اليه ..

ويقول مؤسسو الصهيونية :

« الحياة الدينية اليهودية هي دون سواها سر خلود اسرائيل ، وسيظل اسرائيل خالدا طالما بقي متعلقا بالتوراة ، فاذا هجر اسرائيل التوراة ، اندثر تاريخه في رمال الصحراء ولو ظل مقيما في أرضه وبلاده » .

ويقول شختر « ان نهضة اسرائيل القومية واحياء الدين اليهودى امران لا ينفصلان » .

ونحن تركنا من يتطاول على قرآننا ، وأمكن أن يطبع فى بلد عربى مقال فيه سب لله سبحانه وتعالى قبيل النكسة بأيام ! ..

العصريون في بلادنا كانت لا تشغلهم مشكلة مثل مشكلة اللغة العربية ، اللغة الحية العريقة ، التى تنفرد وحدها دون لغات العالم أجمع باتصالها الثقافى .. فأنا أقرأ وأنقل لكم من كتاب الطبرى عبر الف سنة أو تزيد ! .. ما تغير فيه حرف ، ولا صعب علينا فهم جملة ! .. امة بهذا الاستمرار وهذا الاتصال ، تجعل لغتها هدفا للسخرية ، ومحاولات العامية ، وادعاء صعوبتها وتخلفها ..

أما فى اسرائيل فهم يقولون : « طالما سنظل يهودا وطالما سننادى بأن التوراة كتابنا يجب أن نقدس اللغة التى كتبت بها تقديسا لا حد له » .

« الذين يبعدوننا عن اللغة العبرية يضمرون الشر لشعبنا ومجده الخالد (1) » .

اسرائيل أحيت من الحفريات ، لغة انقرضت منذ ٢٠٠٠ سنة ، وسمت كل منشآتها بها .. « كنيست .. كيبوتيزم .. هستدروت » كل المصطلحات التى لم تسمع بها العبرية قبل أن تختفى من الحياة ، نحتت لها الألفاظ العبرية ، بل وتشترط اسرائيل على كل مهاجر اليها أن يتخلى عن اسمه القديم ويتخذ اسما عبريا أو « يعبرن » اسمه ..

وشمويل يوسف عجنون ، يكتب بالعبرية ويصفها بانها لغة الله .. ويتقدم بها للحصول على جائزة نوبل ويفوز بها ..

هل حالت العبرية التى تدرس بها اسرائيل فى معاهدها دون دراسة الطب والذرة والصواريخ ومعادلات الشفرة وحلها ؟ ! ..

هل العبرية لها فى العلوم تاريخ أعرق أو أحدث من العربية .. لماذا يتوقف العصريون عندنا وحدنا ويصرون على أن العلوم لا يمكن أن تدرس بالعربية ويحذروننا من التخلف .. فزادهم الله تخلفا ؟ ! ..

ليس الخلاف يا قوم — اذن — على الآلات ، فلا بد من امتلاكها ، بل على الروح التى تمكننا من امتلاك الآلات ..

الروح التى تمكننا من ادارة هذه الآلات وصنع النصر بها ..

يقول بن جوريون فى عام ١٩٤٩ : « كل ما يجىء به العلم الحديث ، لا يكفى وحده ، ولن تكون الكلمة الأخيرة للدبابة ولا للمدفع أو الطائرة المقاتلة لكسب الحرب ، انما تكون للانسان الذى يسخر هذه الوسائل لارادته » .

وقال فى نفس الخطاب أمام الضباط المتخرجين من الكلية الحربية : « سنفوز على العرب بفضل تفوقنا فى القوة والخلق والعقل ، ان جيشنا الذى

---

(1) جوزيف موريس .. يهودى انجليزى ١٩٠٧ (من كتاب الفكر اليهودى) .

شاءت الظروف المادية أن يكون جيشا صغيرا ، سيكون فى المستقبل فى طليعة الجيوش الممتازة سواء من الناحية التقليدية الروحية أو الصناعية الفنية » .

اليهود الذين عبدوا عجل الذهب .. عندما ارادوا أن يبنوا دولة ، ويقاتلوا .. عرفوا قيمة القيم الروحية ..

اليهود الذين لا تاريخ حقيقيا لهم كأمة .. جعلوا من توراتهم التاريخ الذى يتعصبون له ، ويستصرخونه وقت الشدائد ، ويبنون له مستقبلا ..

اليهود الذين اندثرت لغتهم ، أعادوا بعثها ، وفرضوها على العالم ، ونالوا بها جائزة نوبل .

لأن الصهيونية تعرف أنه لا يمكن اقناع اليهودى الامريكى بمغادرة واشنطن والهجرة الى صحراء النقب .. من أجل العيش فى مجتمع عصرى ! .. وانما يهاجر اليهودى من أمريكا حيث كل شيء عصرى ، الى فلسطين بدافع العقيدة الذى يتمسم به ، وبحمى العقيدة هذه يقاتل ، ويبنى مجتمعا عصريا ، ويصبر على التخلف فيه ..

وبعد :

فنحن لا نهون من شأن الآلات ، ولكن نركز على حقيقتين :

● انه بالنسبة لمجتمعنا الذى يخرج من مرحلة تخلف قاسية ، تصبح فلسفة استسلامية تلك التى تعلق استقلالنا الوطنى ، وقدرتنا على مقاومة الغزو الاسرائيلى المتبجح ، تعلق ذلك على تفوقنا التكنولوجى على اسرائيل والغرب الذى يساند اسرائيل !!

ان معنى ذلك ، قبول المذلة لسنوات عديدة ، بل اننا نرى ان رفض الاستسلام والاصرار على القتال هو بداية التطور العلمى والفنى للدول العربية .. ونرى أن حساب القوة ، بحساب التكنولوجيا .. هو حساب مقبول بين الدول المتقدمة : كم صاروخا لدى كل منها .. ومدى كل صاروخ .. ولكنه فى حالتنا نحن ليس بالعامل الحاسم ، لأننا ما زلنا نستطيع أن نسحق اسرائيل بتفوقنا البشرى ، شرط أن يحرك هؤلاء البشر ، عقيدة حقيقية ، كتلك التى حركت المسلمين الاوائل ، فيقتنع المقاتل العربى ان الاستشهاد ينقله الى دار أعز وأكرم ، فيصبح أحرص على الموت من حرص خصمه على الحياة .. عندئذ .. وعندئذ فقط تكتب لأمتنا الحياة ..

فنحن نرفض هذه النظرية التى تحكم على الحرب من مجرد حساب الفرق التكنولوجى بين مجتمعين .. والا لما خافت روسيا ، فى الوقت الذى قاتلت فيه فيتنام .. ولما هزمت فرنسا من الجزائر .. ولا سقطت من قبل روما وفارس تحت ضربات العرب المسلمين .. وقد كان عرب الأندلس اكثر تفوقا فى الحضارة المادية من كاثوليك أسبانيا ، وهزمهم المتخلفون لأنهم كانوا الأكثر حمية لعقيدتهم . بينما دق الأتراك العثمانيون اسوار فينا ، وما كانوا قد عرفوا من الحضارة شيئا كبيرا .. ولكن لأنهم كانوا اكثر تعصبا لعقيدتهم .

أما عندما تتخلى الأمم عن عقائدها ، فالنصر يصبح حينئذ للآلة الأقوى .. فان جمع خصمها بين التفوق فى الآلات والايمان بالعقيدة .. اية عقيدة .. عندئذ يهزم أصحاب العقيدة الفاسدة ومن لا عقيدة لهم ..

● النقطة الثانية : أن التقدم الحضارى ليس مجرد قرار يتخذ .. أو مرسوم يصدر باستيراد الحضارة .. هذه هى مأساة التفكير المنحرف الذى ظن أن التقدم يتحقق باستيراد الآلات والنظم .. لا .. التقدم هو انقلاب فى صميم تكوين المجتمع .. وفوق أرضه ، ومن مكوناته الذاتية ..

وما من سبيل الى خلق الدفعة التى تسوق المجتمعات فى طريق التنمية ،

الا من خلال عقيدة كفاحية تسيطر على المجتمع وتوجهه ، وتطلق كل امكانياته ..

ما الذى يجعل الفرد القادر ينفق أمواله على تقدم المجتمع بدلا من انفاقها على التمتع برفاهية التقدم المستوردة ؟ لا بد من فلسفة تربط المجتمع كله وتوجهه فى طريق التضحية والبناء ..

ولا نريد هنا أن نناقش الأسباب التى تجعل من الاسلام هو وحده العقيدة القادرة على اطلاق طاقات الأمة العربية .. ولكن يكفى أن نستقرىء التاريخ ، فما من مجتمع متخلف عبر التاريخ كله استطاع أن يحقق الانقلاب الآلى ، ويصل الى مجتمع الأقوياء من خلال اعتناق فلسفة المجتمعات المتقدمة ..

أبدا ..

العرب بدءوا برفض عقيدة وفلسفة ونظام حكم المجتمعات المتقدمة حولهم .. حتى كان من تعبيرات النقد والسباب عندهم أن يوصف نظام الحكم أو السلوك بأنه « قيصرية أو كسروية » .. فلم يتنادوا بالاقتداء بهم ونقل نظامهم ليصبحوا أغنياء ومتحضرين مثلهم ! انهم لو فعلوا ذلك لما عرف العالم شيئا يسمى الحضارة الاسلامية ..

والحضارة الغربية ، رغم كل ما تعلمته واقتبسته من المسلمين ، قامت على أساس رفض العقيدة الاسلامية ، واختراع صورة بشعة للشرق .. حتى أصبح من المصطلحات المتعارف عليها فى القاموس الايدلوجى للغرب .. « الاستبداد الشرقى » .. « الحاشية الشرقية » « الحريم » .. « الخضوع » .. « القدر » .. الخ من الأكاذيب ..

روسيا لم يمكنها أن تحقق التقدم الصناعى ، الذى انجزه الغرب قبلها . ولا كان بوسعها أن تفرض نفسها على العالم كدولة كبرى .. الا برفض ايدلوجية الغرب وقيمه ، واعتناق نظرية تبشر بانهيار الحضارة الغربية ، وتدينه بكل موبقة ، ثم تحولت هذه النظرية على يد لنين وستالين الى عقيدة روسية خالصة .

وواجهت الصين هذه المشكلة .. فقد كان يمكن لها فى ظل اعتناق فلسفة ونظم الغرب الرأسمالى أن تحقق تقدما بطيئا كذلك الذى تحققه بعض الدول المجاورة لها .. وكان بوسعها أن تحقق معدلا أسرع فى ظل الفلسفة الشيوعية الروسية .. ولكن الصين ، لأنها تريد انجاز المستحيل ، وتصر على أن تصبح دولة كبرى خلال سنوات قليلة ، تعتقد أنها الفسحة التى تنتزعها من خصومها قبل أن يهجموا عليها .. لذلك لجأت الصين الى الطريق الوحيد الذى يحقق التفوق الآلى .. وهو الاستقلال الروحى .. فانفصلت عن الغرب والشرق ، وقطعت كل تبعية روحية لها بالمعسكرين .. واصطنعت لها نظرية خاصة وفلسفة خاصة تكون فيها أمام شعبها رائدة لا تابعة .. فالتابع روحيا لا يحقق تفوقا ماديا ..

فلا سبيل أمام مجتمع متخلف ينشد الانقلاب الصناعى الا اعتناق فلسفة خاصة ، وعقيدة خاصة مستقلة ..

فابدءوا بالعقيدة ، قبل أن تتحدثوا عن العصرية ..

واذا كان الجميع يعترفون اليوم بأن ما طرح بيننا من وسائل ايقاظ القوى المعنوية لم يثمر ثمرته المرجوة .

فان من حق الأمة العربية أن تطالب اليوم وتقول : التفتوا هنا .. فان هذه الأمة لا يصلح آخرها الا بما صلح به أولها .. عودوا .. الى الاسلام .. وامنحوا الجماهير عقيدة تقاتل تحتها .. وتنتصر من أجلها وبها ..

محمد جلال كشك

كان ذلك منذ ١٣٥ بعد الميلاد .

نحن اليوم فى سنة ١٩٦٧ بعد الميلاد ، وانا لنجد دولاب الدهر يدور حاملا فى الخامس من شهره السادس القرار للتائهين ، والفرار لأبناء فلسطين المستقرين ، واذا باليهود الذين تقرحت أجفانهم من طول البكاء ، يمسحون دموعهم بالخناجر التى ضرجوها بدماء المسلمين ، ويهرعون الى الحائط باهازيج النصر ، بعد ان كانوا لا يستطيعون بلوغه الا مسربلين بعار المذلة والخسر ، بينما امتنا المسلمة ، فى عربها وعجمها ، التى ما عرف بنوها على مر السنين بكاء ، ولا نواحا ،تتحول فى مدى ايام قلائل الى اشباح ذليلة ، تتسكع على ابواب الأمم ، تسأل هذا القائد ، وذلك الرئيس ان يعيد لها الأرض السليبة ، بما فيها القدس الحبيبة من أجل عيون مبادىء الأمم المتحدة ، والقوانين التى وضعت لاجارة المستضعفين من بغى المعتدين ! ! !

يا له من موقف ما كان لنا ان ننتهى اليه لو كنا صادقين ! ! !

وانا اليوم لنتساءل فى لهفة جازعة :

ـــ هل جفت دموع اليهود لتفيض من عيون المسلمين الدموع ! !

لقد جعل اليهود من أطلال سور بقى من هيكلهم الذى دنسوه يوم بنوه بالرذيلة والخنا ، حائطا للبكاء طوال مدة بدات سنة ١٣٥ ميلادية ، وانتهت فى منتصف سنة ١٩٦٧ ميلادية .

فهل رضى المسلمون ان يستحل هؤلاء المسجد الأقصى الذى جبله بالطهر آباء لهم واجداد كرام ؟ وان يستحيل انقاضا تغيب تحت حطامها كلمة الله الخالدة فى اولى قبلتيه وثالث حرميه ؟ !

أيها المسلمون فى مطالع الشمس من الأرض ومغاربها تحت كل سماء وفوق كل تراب :

ان امجاد آبائكم فى الأيام الخالية ، وآمال أبنائكم فى الأيام الآتية ، تتطلع اليكم ، ومعها مقدسات تراثكم فى فلسطين ، وللجميع نداء واحد ، صادر من أعماق الثرى الذى توسدته أرواح الضحايا من شهداء الاسلام وابطاله ، عبر الأجيال والقرون .

انه نداء الشهيد المجهول من أجل الاسلام والمسلمين من أجل المقدسات فى فلسطين :

فاما حياة تسر الصديق

واما مماة يغيظ العدا

ونفس الشريف لها غايتان

ورود المنايا ونيل المنى

الإنسان العربي

بين الجاهلية والإسلام

للاستاذ : محمود استانبولي
« دمشق »

عاش الانسان العربى قبل الاسلام فى جاهلية عمياء ، وفى ظلمات بعضها فوق بعض ، فكانت العصبية القبلية على اشدها ، شعارها : « أنصر اخاك ظالما أو مظلوما » بمعناها الضيق البغيض ، فكانت الحرب — على الرغم من ويلاتها — ملهى لهذا الانسان ، وسفك الدماء من أعظم الهياته . كما كانت الوثنية والخمر والقمار من ابرز مظاهر حياته .

وكان يعامل المرأة معاملة سيئة فيعبث بها ، ويأكل حقوقها ، ويرثها كما يرث الدابة والمتاع ، بل يروح أيضا يكرهها على (١) الزنا — كما وصفه القرآن — ويأخذ أجرها . قال تعالى فى النهى عن ذلك : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء » .

وقد خضع الانسان العربى فى الجاهلية للاستعمار الفارسى فى العراق واليمن ، وللاستعمار الرومانى فى الشام ، فى ابشع صوره واذل أشكاله .

وما كانت حال الانسان العربى فى الحجاز بأحسن من حاله فى الشام والعراق ، فكان شبه مستعمر للراسمالية اليهودية عن طريق الربا أضعافا مضاعفة حتى استولت على كثير من أراضيه ، علاوة على الفتن التى كانت تثيرها بين القبائل العربية لاشعال نيران الحروب بينها حتى كادت تهددها بالفناء .

انحراف وفراغ مخيف ..

هذا وصف مجمل للانسان العربى فى الجاهلية الاولى . انحراف فى العقيدة ، انحلال فى الأخلاق ، فكان فى طريقه الى الاحتضار والانتحار .

انا لنتصور هذا العربى المضطرب الضال ، وهو يضرب فى صحرائه

---

(١) لا نعتقد أن [illegible] كان يمثل ظاهرة عامةفى العرب حتى ندمغهم جميعا بهذا العيب ، وقد كانوا غيارى على محارمهم ، كما كانوايحترمون المراة وينزلون عند رايها بل ان من كبارهم من كان ينتسب الى امه ، وهذا لايمنع من وجود بعض الصفات التى ذكرها الكاتب فى بعض الافراد كما فى كل مجتمع مما جعل القرآن الكريم يعني باجتثاثها لتطهير المجتمع الاسلامي تطهيرا كاملا . (الوعى)

على غير هدى ، حائرا من هذا الكون الذي يحيط به ، مقصرا فى استعمال طاقته على هـذه الأرض ، لا يعرف كيف يحيى حيـاته ، أو يسـتغل وجـوده ، ولكنه يتمنى لو خرج من هذه الحيرة ، وجلا عنه هذا الظلام ، فما هـذه الحـروب التى كانت تشتعل دونما أدنى تفـكير او وعى ، الا هربا من هذا الفراغ ، وقتلا للوقت الذي يحـويه .. وما هـذه العـادات المتطرفة لدرجة القبح والشر التى ألمت بالعربى حينا من الزمن الا محاولة لقهر هـذا الفراغ الذى لا يحصل ضمن أجوائه أدنى معنى للوجـود ، وأية غاية للحياة .

تصوروا هذا الانسان وقد أفرغ نفسه الا من تأملاته ، وجرد عقله الا من تفكيره الخاص ، وأبقى قلبه وروحه فى صفاء غريب ، لا ينعكس عليهما الا احسـاسات حب عابر ، وتشوفات تأملية .. سريعا ما تتحول الى وجد وبكاء وذكرى ، وأناشـيد تصدح فى الصحراء ، على الـسنة الحداة .. لم يزل صداها يرن فى أعماقنا الى اليوم .

فى رحاب الاسلام ..

تصوروه بعد هذه الشكوك التى ألمت به ، وبعد هذه الاضطرابات التى عصفت بشخصه ، وقد رأى أمامه فجأة كل ما يريد .. وكل ما يشبع ميوله ونزعاته الى الحرية والجهاد والسمو .. ان المفاجأة لا شك قد أخذته ولم يستطع أن يصدق كل ما يرى ، فهب لمقاومته ، ثم وقف على شـاطئه حذرا ، ثم اقترب رويدا رويدا ، حتى اذا اطمأن اليه وأنس له ، عب منه بامتلاء ، فأصبح الحياة التى تعاش ، والرسالة التى تخدم ، والمصير الذى يريد .

لقد كان العـربى فارغا . فاذا بالاسـلام يملؤه ، ويفيض مـن جوانبه ، واذا به يمنحه شـخصية جديدة كل الجدة ، كانت شخصيته القـديمة أساسا لها ، ويظل ثلاثا وعشرين سنة ، مدة البعـثة ، فى كفاح مرير وعلم مسـتزيد وتطور مستمر ، حتى ينتهى ذات لحظة الى ما يشبه الكمال ، وهو الذى تاقت نفسه للكمال المطلق ، بعد أن امتلأ هذا الامتلاء الثرى بالاسلام .

ان أى شخص فى العـالمين وجد على الأرض ما استطاعت فلسفة أو عقيـدة أو دين أن يعطيه عشر ما اسـتطاع الاسـلام ان يعطيه للعربى (1) .

من الضعف الى القوة ..

لما بعث الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم واشرقت على هذا الانسـان العربى شـمس الاسلام ، انقلب شركه الى ايمان ، وانحلاله الى قوة ، وذله الى عزة ، فسارع الى تحرير بلاده من اليهودية فى الحجاز ، ثم من الفرس والرومان فى سورية والعراق ..

فى طريق المجد ..

وتقدم بعد ذلك شرقا وغربا حتى فتح الهند والصين ، وأسبانيا وقسما كبيرا من فرنسـا .. كل ذلك بسرعة عجيبة أدهشت علماء الغرب فراحوا يطلقون على هذه الحادثة التاريخية اسم « المعجزة العربية » .

لم تقتصر مهمة الانسان العربي على هذا الفتح المبين بل انشـأ دولة عربية امتدت حدودها من المحيـط الكبير شرقا ، الى المحيط الأطلسى غربا ، وبلاد القفقاس شـمالا الى اندونيسيا جنوبا ، وقد قامت هـذه الدولة بأعظم نصيب فى اشـادة الحضـارة ، بما قدمته من العلوم

(1) ماساة العربي المسلم ص ٤٣ — ٤٤

الرياضـــــية والطبيعية والكيميائية والفلـــكية والجغرافية ، على أيدى علماء ، ما زالت تدرس نظـــرياتهم وكتبهم فى الجـــامعات العلمية الى عصـــور متأخرة ، وكانوا من أعظم اســـباب يقظة الغرب والجيد من مدينته الحاضرة ، كما شــهد بذلك كثير من علماء الغرب أنفسهم .

والفضل ما شهدت به الأعداء .

قال بريفولت فى كتـــابه « تيار الانسانية » :

« لقد كان العـــلم أهم ما جاءت به الحضارة الاسلامية على العـــالم الحديث .. ان ما يدين به علمنـــا لعلم المسلمين ليس فيما قدموه الينا من كشـــوف مدهشـــة لنظريات مبتكرة ، بل يدين هـــذا العلم الى الثقافة الاســـلامية بأكثر من هذا : انه يدين لها بوجود نفسه .. » .

ثم ضرب الامثلة الكثيرة على فضل العرب والمسلمين ولم يقتصر علماء الغرب المنصفون على الاشادة بفضل الانســـان العربى على المدنية ، بل راحوا يألمون لانتصار شارل مارتل علي عبد الرحمن الغافقى فى معركة بواتيه فى فرنسا .

يقول كلودفارير فى المقدمة التى كتبهـــا للترجمة الفرنسية من رواية العباسية أخت الرشيد تأليف جورجى زيدان « أصيبت الانســـانية والعالم الغربى عام ٧٣٢ بـــكارثة عظمى لم تصب بمثلها فى القرون الوسطى ، وبقى اثرها ظاهرا فى العـــالم مدة سبعة قرون أو ثمانية قرون ، ان لم يكن أكثر من ذلك لأن روح التجدد كانت يومئذ قد بدت للعيان ، حتى وقعت تلك الكارثة ، فكان من نتائجها تأخر سير الحضارة ، ورجوع العالم الى الوراء ، هذه الكارثة هى الانتصار المؤلم الذى أحرزه وحوش (الكاركا) من جيـــوش الأفرنج ، التى كان يقودها « شارل مارتل » ســـليل الكارلنجيين ، محـــاربا بها كتائب العرب التى لم يحسن عبد الرحمن جمعها وحشدها بالمقدار الـــكافى ، فكان ذلك سبب خذلانها وتقهقرها .

(فى ذلك اليوم المظـــلم تقهقرت الحضارة الى الوراء ثمانية قرون) .

ظهور الاسلام خاتمة العصـــور القديمة .

لم يقتصر الغربيون على الاشادة بفضل الاسلام على المدنية ، بل راح الأســـتاذ (بيرون) يعـــلن فى المؤتمر الدولى للعلوم التاريخية الذى عقـــد بمدينة (أوســـلو) عاصمة النرويج فى ١٤ آب ١٩٢٩ دعـــوته التى أعلنهـــا فى المؤتمر الخامس الدولى ، الى اعتبار ظهور الاسلام هو خاتمة العصور القديمة ، وبداية ايقاظ الانســـانية فى أول عصورها المتوسطة حيث بدأت أوربا الغربية تكون مدنية جديدة وحيـــاة جديدة، يجب معها اعتبارهذا الحادث العظيم هو بداية الوسيط (١) .

مبادىء قوية .

وقد كان الانســـان العربى فى ظلال الاسلام ايجابيا يؤمن بالقـــدر كقوة للاندفاع والنضال والعمل ، فلا يخشى أحـــدا الا الله ، ويثور على التواكل وينكر الجـــبر ، ويعتقد أنه مسئول وحر ، كما يعتقـــد أن الله سخر له ما فى السموات والأرض اذا هو قام بدوره بحق .

---

(١) ومما يؤسف له أن جميع مؤرخينا ومؤلفينا بحكم فقدان الشخصية العربية وبحكم التقليد الأعمى للمؤرخين الغربيين المتعصبين لا يزالون يعتبرون انقسام الدولة الرومانية الى شرقية وغربية يتطرقون الى ظهور الاسلام كأعظم حادثة تافهة ولا يتطرقون الى ظهور الاسلام كأعظم حادثة تاريخية فى العالم كما ينادي المؤرخ الغربي نفسه ! فيا لقلة الوعي وضعف الشخصية !!

أصغى هذا الانسان الى النداء الالهى ، ومثل دوره فى ميدان الجهاد والحضارة أعظم تمثيل ، فدخل التاريخ بدور بطولى وقيادى وتبوأ سدرة المجد ، والفخار والسؤدد .

صورة الانسان العربى المسلم .

وقد أحببت بمناسبة الكلام على الانسان العربى المسلم أن انقل صورة رائعة من الوف صور التى تمثل مبلغ قوة شخصيته وشجاعته ، واحتقاره للمظاهر الجوفاء ، ومبلغ فهمه لمبادىء الاسلام .

ارسل سعد بن أبى وقاص قبل معركة القادسية (ربعى بن عامر) رسولا الى رستم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم ، فدخل عليه ، وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابى الحريرية ، واظهروا اليواقيت واللآلىء الثمينة العظيمة ، وكان على رستم تاجه وغير ذلك من الامتعة الثمينة ، ليدهش الرسول وينقل أخبار عظمته الى المسلمين ليهابوه .

ودخل ربعى بثياب صفيقة وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، واقبل وعليه سلاحه ودرعه ، وبيضته فوق رأسه .

فقالوا له : ضع سلاحك .

فقال : انى لم آتكم ، وانما جئتكم حين دعوتمونى ، فان تركتمونى هكذا والا رجعت .

فقال رستم : ائذنوا له .

فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق ، فخرق عامتها ..

فقال له رستم : ما جاء بكم ؟ .

فقال ربعى : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده .. ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام » .

ثم خرج ربعى وقد ملأ قلب قائد الفرس وجنده هلعا ورعبا ، بقوته المعنوية التى غرسها فيه الاسلام .

راحت العصور تمر ، ونجم الانسان العربى يتألق ، وجيوشه تهزم الأعداء فى كل المعارك ؛ واساطيله تشق عباب البحر ، وتستولى على الممالك ، ومدنيته تعم الخافقين .

مؤامرات الشعوبية .

وعلى حين غفلة ، استيقظت الشعوبية الغادرة اللئيمة ، وقد ساءها مجد هذا الانسان العربى الذى ملأ الدنيا ، وشغل الناس ، وقضى على ملكها وجبروتها ، فأكل الحسد والحقد قلبها فراحت تنسج الخطط ، وتدبر المؤامرات ، وتحيك الدسائس على توالى السنين ، لم تمل ، ولم تهدأ ، فعمدت الى مصدر هذا المجد ، فعكرت نبع الاسلام الصافى ، واثارت الفتن ، وحولت تياره القوى نحو الداخل ، بعد ما قهر امبراطوريتين من أعظم امبراطوريات التاريخ .

تخدير المارد .

ولم تكتف هذه الشعوبية بكل ذلك ، بل أخذت تسعى لتخدير المارد العربى بسموم الأوهام والبدع والخرافات وغيرها من المبادىء الوثنية الميتة ، وزهدته بالعلم والجهاد ، ورغبته بالخلوات المظلمة ، والتشرد بالبرارى والقفار ، وانشأت له الزوايا والتكايا بدلا من حلقات المعرفة والدراسة ، ليخلد الى الكسل والبطالة والفسق ، وزينت له عقيدة الجبر والخضوع ليستسلم للأحداث ، وصرفته عن عبادة الله وحده مصدر قوته وعظمته ، الى عبادة الأنبياء والأولياء ، فراح هذا الانسان العربى يرتمى على عتباتهم ، ويتمسح بتراثهم ، ويقدم لهم النذور والقرابين مستعينا بهم فى الملمات ، وفى قضاء الحوائج ، وقلبه يرتجف

خوفا وجزعا منهم .

هذا فى ميدان العقيدة ، أما فى ميدان العبادات ، فقد زينت هذه الشعوبية لهذا الانسان العربى التعصب المذهبى والتقليد الأعمى ، مما قضى على البقية الباقية من تفكيره وشخصيته ، فاتخذ شيوخه وائمته أربابا من دون الله ، يحللون له ويحرمون ، فبعد عن الاسلام وعن الله ، وهو يحسب أنه لا يزال يعبده .

وكان من نتيجة بعده عن كتاب ربه وسنة نبيه ، انقسامه الى فرق وشيع يقاتل بعضها بعضا ، وهذا جزاء من يترك النور الهادى والصراط المستقيم (فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا) .

حملات الصليبيين والتتار .

وبعد تخدير الشعوبية للانسان العربى ، عمدت الى تأليب الصليبية والتتار عليه وعلى بلاده ، فجاسوا خلال الديار واعملوا القتل والذبح فى صفوفه ، وهدموا مدنيته والقوا تراثه الفكرى والعلمى فى اليم .

فاستفاق انساننا العربى على هذه الضربات الشديدة يستحس الخطا ويثير العزائم ، فاستطاع طرد هذه الزحوف الأجنبية حقبة من الزمن ، ولكنه ما لبث أن عاد الى غفوته بتأثير أفيون الشعوبية ، فعاش بعيدا عن مثله العليا الاسلامية ، زاهدا فى الحياة مستسلما للأحداث ، غارقا فى الأوهام ، يوجه ــ حتى فى المساجد وفى دروس الوعظ والارشاد ــ توجيها بليدا ومخدرا ، وما زال على هذه الحال حتى فاجأه الغرب فى العصور الحديثة بقواه المادية ، فتقهقر أمام حملات المستعمرين ودسائس المستشرقين الذين زينوا له الالحاد وحببوا اليه الاباحية ، ورغبوه بترك تراثه وتقليد الغرب فى تقاليده ، فسقط صريعا وانطمرت شخصيته تحت ركام المؤامرات ، وخدعوه واوهموه أن اسلامه هو الذى كان سبب نومه وانحطاطه ، كل ذلك ليزهدوه بهذا الدين العظيم الذى حول فى القديم طاقاته وخاماته الى قوى جبارة قيادية ، فتحت الدنيا ، ومدنت العالم .

على مفترق الطرق .

ان الانسان العربى اليوم على مفترق الطرق . فاما ان يختار طريق المستعمرين والمستشرقين ، فيصغى الى دسائسهم عن الاسلام ، فيضيع شخصيته ، ويدفن تراثه ، ويفقد ذاته ، ويضيع فى متاهات الغرب ، كما يضيع الجدول فى رمال الصحراء ، بل يشقى الى الأبد كما يشقى الغرب نفسه اليوم بسبب أنظمته الوضعية التى تقوده الى الهلاك والى انهيار الحضارة كما تنبأ بذلك كثير من فلاسفته .

وقد جرب هذا الانسان العربى بذاته هذا الطريق ، فغدا العوبة بين هذا وذاك ، وفقد كثيرا من اجزاء بلاده ، وغدا مهددا بضياع الأجزاء الأخرى .

واما ان يستيقظ ، ويفهم اسلامه فهما جديدا ، كما فهمه أسلافه المجاهدون ، ويعمل حسب منهاجه ، ولا يرضى بديلا من التشريعات والأنظمة الوضعية مهما قويت الدعاية لها ، وينطلق من قيوده ، غير مصغ لدسائس الشعوبيين والمستعمرين والمستشرقين .

وبذلك يعيد سيرته الأولى كقوة مستقلة ، ومعسكر لا شرقى ولا غربى ، فيقود قافلة الانسانية كما قادها من قبل ، وينقذ الحضارة من السقوط والانهيار .



للدكتور : محمد كامل الفقى

أكثر الأفراد والجماعات ، وأغلب الأمم والشعوب ، عرضة لوقوع الشر ، وشيوع الخلف ، وتفاقم النزاع ، وضراوة الصراع ، فاعنة النفوس بيد أهوائها ، وأزمتها بأكف غرائزها وشهواتها .

وفي طبيعة الحياة أن يفتن الأحياء بما يفتح عليهم من زهرة الدنيا ، وقد « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث » .

والمجالدة على النفوذ والسلطان وارتكاب الاثم في الكيد والقهر ، أمر أعيا البشرية علاجه . ولو اهتدى الناس — وبأيديهم أن يهتدوا — الى أن ينتصروا على ما استحر بينهم من خلاف ، وما شجر بينهم من نزاع ، لغدوا ملائكة وقديسين . وأظلتهم السكينة والرحمة ، ورأينا بدل الحروب والمعارك التي تفني البشر وتستنفد طاقات الأفراد والأمم ، سلاما ووئاما ، وحبا ومودة .

لكن ذلك شأن الحياة ، فلا بد من علاج هذا الداء والطب له ، وفى دين الله وسنة رسوله شفاء من كل داء . وبرء لكل سقام ، وما على الناس الا أن يفتحوا قلوبهم لخير هذا الدين ، وما تواصى به من الأخوة والحب والمودة ، فاذ ذاك تغمرهم السعادة في الحياتين جميعا .

ولقد وضعت القوانين وأقيمت المحاكم . وكثر المحامون ، واعدت الدول رجال القضاء والادارة والنيابة وغصت مجمعات المحاكم بالمتخاصمين وازدحمت ساحاتها بالمتقاضين ، وسهر كل خصم على بذل الجهد لينال النصر ، ويضمن الغلب ، وحرص كل أشد الحرص على أن يكون الحق بحجته بلسانه أو بمحاميه من صاحبه فيقضى له ، وزيفت الحجج وصنعت البراهين ، وجلب الشهود ، وما حلت المحكمة خلافا واحدا ، قضت به على كيد أو خصومة ، بل خرج كل من طرفي الخصومة ، وفي نفسه أن

يستأنف النضال ، ان لم يكن في ساحاتها ففى ساحة الأيام ، فبينهما عداء مشبوب ، ونزاع يورث ولو ذهبت أسبابه ، وهان موضوعه ، وتتسلل القطيعة والعداوة من الأجداد الى الأحفاد ، فيقضى على العائلات بالتفرق ، وعلى العلاقات بين الأقرباء بالتمزق ، وتهون الصلات ولو كانت جوارا أو قرابة أو صلة رحم أو اخوة أو أبوة .

وما تجد اكثر المتقاضين راضيا بقضاء المحاكم وحكمها . وما يخلو أحد المتقاضين من بذل مال ، واعداد عدة ، واحكام خطة ، وسهر وتدبير لو أنفق بعضه في غير هذا لأفاد المرء والبشرية ، ويحيا طرفا الخلاف في هذا الجو الوبىء شهورا وسنين عددا .

لكنها حمى نزاع ، وشهوة خلف ، وداء استحكم في قلوب المتخاصمين .

وفي غمرة النزاعات التي اشتد أوارها . واستحكم خطرها ، وتفاقمت آثارها . تحن الانسانية الى عمل جليل . وتهفو الى صلح نبيل ، واطفاء للنار المتقدة ، واخماد للثورة المشبوبة ، وتنبض عروق الأخوة في اجساد المؤمنين ، ويتنادى اكثرهم حبا للخير ، وبغضا للشر ، أما للسلم والتسامح والصفح والتآخى من سبيل ؟

لقد راقنى ما يقوله الامام محمود ابن عمر الزمخشرى فى الكشاف بصدد قول الله تبارك وتعالى : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

يقول الزمخشرى : هذا تقرير لما الزمه من تولى الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين ، وبيان ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الأخوة ويبرز عليها لم ينقص عنها ، ولم يتقاصر عن غايتها ، ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الأولاد لزم السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته ، ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح ، وبثا للسفراء بينهما ، الى ان يصادف ما وهي من الوفاق من يرقعه ، وما استشن من الوصال من يبله (١) ، فالأخوة في الدين احق بذلك وباشد منه ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم : (المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار (٢) قدره .. ثم قال : احفظوا ولا يحفظ منكم الا القليل .

فصلة الايمان كصلة الأخوة تدفع المؤمن ان يسعى لاصلاح ذات البين بين المتخاصمين كأنه أخ لهما . ويسهر على ازالة الجفوة بينهما . وجمع كلمتهما . ولم شعثهما . وبذلك تقوى أواصر المحبة بين المسلمين . ويسود التراحم والتعاطف فيهم ، ويمسون كلمة واحدة ، يتكون منهم مجتمع اتحاد ومودة . لا مجتمع تنابذ وخصام وفرقة ، وما ينفذ العدو الى

---

(١) استشنت القربة أخلقت وبليت .

(٢) القتار بضم القاف ريح القدر والشواء .

المسلمين الا من خلال تفرقهم ، وشتات أمرهم ، فانهم يكونون مشغولين بالتخاصم والتقاضى ، والكيد والتدابر ، عن وطنهم الذى يحنو عليهم ، فيفرطون في صيانته . ويلوون وجوههم عن النظر اليه ، وبذلك يكون هوانهم ، وتسنح الفرصة لعدوهم الذى لا ينام عن انتهازها .

وقد عنى الاسلام اشد عناية بهتك سحائب الخصومة بين المسلمين ، وازالة ظلمات الجفوة بين المرء وأخيه ورغب فى ذلك وحض عليه . ودعا له دعوة قوية بأساليب مختلفة ، وتراكيب متعددة . فالله سبحانه وتعالى قرن الأمر بتقواه بالأمر باصلاح ذات البين . لما يترتب على ذلك من اصلاح المجتمع الاسلامى ، والتمكين له من السيادة ، فذلك حيث يقول : (فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم) .

وفي الحق أن الدعوة الى فض المنازعات ، وتبديد السخائم ، والترغيب في الوحدة ، والتلاقى ، سلوك واضح الى الهدى الذى عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه ابو هريرة رضى الله عنه : (من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا . ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا) . وذلك فيما يظهر من بعض وجوه الهدى ، فحينما تبدر بادرة بين المسلم وصاحبه ، من الناس من يحتفل بأمرهما ، ويجند نفسه للم شملهما ، والفصل بالعدل فيما بينهما فتلك والله دعوة الى هدى وحق وخير . .

ومن الناس من يلقى بنار الفتنة بين هذين ، ويحبذ لكل منهما ان يكون شاكى السلاح ، معتمدا على القضاء والشرطة ، وما يلزم للنصر في ذلك من جهد وطاقة ، فذلك والله انما هو دعوة الى ضلالة وباطل وشر .

والذين لا يعبأون بتمزق العلاقات بين الناس ، ويصمون آذانهم عن الخلف في حياتهم ، انما هم قوم فقدوا حس المؤمن وحبه لأخيه ، وما كثير عليهم أن يقال ان فيهم بلادة ايمان . وبرود رجولة . .

وفي الدعوة الى اصلاح ذات البين يقول الله في محكم كتابه : (لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) .

وفيما يرويه ابو هريرة رضى الله عنه عن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم انه قال . . . (كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة (اى تصلح بينهما بالعدل) وتعين الرجل في دابته صدقة . وبكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة) .

ذلك ما نسميه محكمة الخير . ومحكمة الخير هذه شرعها الله في طائفتين من المؤمنين اقتتلوا كما سلف لك ، وشرعها للفصل بين الزوجين

المتنازعين فذلك حيث يقول : (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا) ومتى كانت نية الحكمين اصلاح ما بين الزوجين ، وكانت قلوبهما مشغولة بذلك بارك الله في وساطتهما ، واوقع الله بطيب نفسهما ، وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والألفة . والقى فى نفسهما الحب والمودة .

وشرعها الله كذلك في كل ما يحقق الصفو والوئام . ويدفع الظلم والتباغض ، ويصون الحق لصاحبه ، ومتى تعقدت شئون الحياة ، وتشابكت المصالح فيها ، وكثر النزاع على مواردها ، وشاع التحاسد بين الأقرباء والمتناظرين . مست الحاجة الى هذه المحاكم ، ودعت الضرورة الى جماعة يدعون الى الخير ، ويحكمون بالعدل . صفت من الأهواء نفوسهم ، وخلصت من الأغراض مقاصدهم ، ينهضون براب الصدع ، ودفع الظلم ، ويقربون بين المتباعدين ، ويجمعون بين المتنافرين .

فهذه رسالة الأصفياء من المؤمنين وذلك عمل أهل الضمير والشرف من سادتهم ، وهم حملة اللواء حين يثق الناس بهم لحسن سلوكهم وعدالتهم ، واتشاحهم بوشاح الشرف والتقوى . فتستقر بهم الأمور تشتد الفتن . وتستشرى الأطماع وتنجاب برأيهم الظلمات ، وتبقى علائق الحب والوئام بين من كانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم الله منها .

ان محكمة الخير تنجح فيما تخفق في علاجه المحاكم ، وان الدعوة لقيامها في القرية والمدينة اقرب الطرق لسلامة الأمن وحقن الدماء .

ورب داء برىء بالحكمين لم يبرا بقانون ولا بذى جاه وسلطان .

ومجلس الأمن ما لم يعبث به المستعمر الضارى محكمة خير ،

والجمعية العامة للأمم المتحدة ما لم يعبث بها المستعمر الضارى محكمة خير .

ومؤتمرات القمة في مستوى الملوك والرؤساء أو ما دون ذلك محكمة خير .

ولئن عملت المحاكم والقوانين في نطاق محدود ، فنطاق محاكم الخير اوسع مدى وأكثر سلطانا ، واشد اثرا وأعز نفرا .

حبذا لو عمق الوعي بضرورة هذه المحاكم — ولو باسم آخر — ودعا الواعظ والخطيب لقيامها . والتبصير بعظيم خطرها . ونشرت وسائل الاعلام الايمان بها ، والخير العظيم الناشىء منها ..

اذن لكثرت حمائم السلام ، وحمل الناس بدل الرماح والسيوف باقات الورود والأغصان .

وسادت الأخوة الفاضلة ، وقام المجتمع الفاضل . والله يهدى الى صراط مستقيم .

المسلمون في جمهورية داهومي

- الامام يجمع [illegible] المشركين [illegible] ويرتحلون حتى [illegible] نفقته .
- بعض المسيحيين يبعثون ابنائهم لدراسة العربية لتعلم الاسلام .
- لماذا كانت داهومي الجمهورية الافريقية الوحيدة التي ليس لها طلابا في البلاد العربية والازهر الشريف ..؟

جمهورية الداهومي من الدول المستقلة حديثا في غرب افريقيا ، بعد ان استعمرتها فرنسا مدة طويلة — وهي تطل مثل التوجو على المحيط الأطلنطي الذي يحدها شرقا — ومن الغرب تحيط بها جمهوريتا فولتا العليا والنيجر . اما في الشمال فتقع جمهورية نيجيريا ويحدها جنوبا جمهورية التوجو .

ويرجع تسمية هذه الجمهورية الى اسطورة قديمة يتناقلها الناس حتى الآن ويؤكدون صحتها ، وذلك انه في سنة ١٦١٠ م كان لمنطقة فون « Fon » ملك اسمه دان « Dan » وكان للمنطقة المجاورة لها واسمها الدا « Allda » أمير اسمه أبو « Agbo » ويقال ان هذا الثاني نزل ضيفا على الأول « دان » وبحكم الصداقة اخذ منزلا خاصا ليقيم فيه مدة ضيافته ، ولكن الضيافة طال وقتها واخذ « أبو » يستحضر بعض أتباعه شيئا فشيئا ، ويستولي على بعض اراضي دان — فضاق هذا به ذرعا وذات يوم قابله وقال له ساخرا : الا تريد بناء منزل على بطني ؟ بعد ان استوليت على كثير من أراضي مملكتي — فاستشاط « ابو » غضبا ، واقسم ان يجعل هذا الكلام حقيقة . وذات يوم استحضر قواته ، وباغت بها جيوش دان فانتصر عليها وقتل دان نفسه اثناء المعركة ، فوضعه في أرض فسيحة ، وبنى على بطنه أول قصر في هذه البلاد ، التي عرفت باسم « داهومي » والتي حرفت عن كلمة « دان هومي » ومعناها « بطن دان » كما أن معنى دان « الثعبان » اى ان معناها « بطن الثعبان » .

ويبلغ سكان هذه الجمهورية حوالى المليونين والنصف تقريبا وعاصمتها «برتنوفو» ولكن العاصمة الفعلية التي بها دور الحكومة والسفارات الأجنبية ومركز التجارة هي « كوتونو » — كما انه يوجد كثير من المدن الشهيرة مثل « أبومي ، يدا ، باركو ، ساتيتي » ولكن الشيء الذي يثير الانتباه كالعادة في الدول الافريقية ، هو كثرة اللغات واللهجات وتعددها ، وقد تجد لكل مدينة بل لكل قبيلة



للأستاذ : طلعت غنام — توجو

لغة خاصة بها . وهذا نشأ من تشجيع الاستعمار ليمكن تفريقهم والظفر بهم . واللغة الأولى هنا المستعملة فى دور الحكومة ، ودور التعليم هى الفرنسية ، وبعدها لغة فون « Fons » ثم لغة اليوربا التى يتكلمها المسلمون اليوربا — والذين يرجعون اصلهم الى العروبة من قبيلة يعرب ، والتى حرفت بتداول اللغات . وقد يطلقون عليها « اناجو » كما يوجد ايضا لغة اجا وبربر والفلانية ولغة زونبا . هذا كما قلت بخلاف اللهجات واللغات الداخلية لكل قبيلة .

عدد المسلمين

ويبلغ عدد المسلمين الحقيقى فى داهومى حوالى ٥٠٪ من عدد السكان ، وهم متمسكون بالدين الاسلامى ، بالرغم مما يدخلونه فيه من الجهالات والعادات الضارة — ويوجد فى العاصمة « برتنوفو » كثير من الجمعيات الاسلامية . أشهرها : جمعيات «أنصار الاسلام» « وأنوار الدين » ، ويتمثل نشاطها فى بناء المدارس العربية ، التى يدرس بهما مدرسون من نفس البلاد ، لم تصل اليهم بعد الطرق العصرية والنطق الصحيح .

واشهر هذه المدارس واقدمها « مدرسة الحاج مجدد التى تخرج فيها طلاب كثيرون يختار المتازين منهم لمساعدته فى المدرسة » وتوجد مدرسة اخرى عربية فرنسية تعرف باسم « كولج آراب فرنسية » لها مصاريف خاصة ، والغرض من تدريس الفرنسية مع العربية فيها هو فتح باب عيش للخريجين منها ، حيث لا تعترف الدولة ولا تعطى عملا الا لمن يجيد الفرنسية ، فضلا عن ربطه بالمجتمع الذى يعيش فيه .

لا كيان لهم !!

والمسلمون هنا ليس لهم اى كيان سياسى معترف به فى الدولة ، من ناحية المساعدة المادية لبناء مدارس او مساجد ، الا ما يستطيعون جمعه من التبرعات والاشتراكات فى الجمعيات السالفة . بخلاف الفئات الاخرى ، فان الحكومة تتكفل بكل احتياجاتهم ، بالرغم من أن المسلمين — كما قلت — يمثلون نصف الدولة !! وحتى استدعاء

الأساتذة لهم من الخارج ، لا يراد ان يكون بطريق رسمى .

وذلك يرجع لعدم وجود القيادات القوية ، وربما الصراع الداخلى على الزعامة فيما بينهم — هذا بالرغم من وجود مسلمين فى مراكز هامة فى الدولة مثل السكرتير العام لرئاسة الجمهورية ، ومثل رئيس مجلس الأمة قبل الانقلاب الأخير . ولهذا السبب ربما يرجع عدم وجود أى تلاميذ لهم مبعوثين للعالم العربي والأزهر الشريف ، لتعلم اللغة العربية والدين — وتكاد تكون داهومى هى الجمهورية الافريقية الوحيدة فى هذا المجال — وبعد الانقلاب اتفق المسلمون على انشاء اتحاد يضم كل الجمعيات برئاسة الزعيم عبد الوهاب .

ويتناقل مؤرخوهم المسلمون أن الاسلام دخل الى داهومى فى القرن الحادى عشر الميلادى ، عندما جاء الى غرب افريقيا من الجهات الساحلية حتى بلغ نيجيريا الى حدود الكونغو على يد الصحابى الجليل عقبة بن نافع رضى الله عنه . كما يقال ان من اتى بالاسلام الى داهومى هو ابو بكر بن عمر على أصح الأقوال .

حاصلاتها

وأما حاصلات هذه البلاد فكثيرة وان كانت الاستفادة الاقتصادية معدومة ، ذلك أن الاستعمار كعادته ، ينظر الى المستعمرات على أنها مزارع لأخذ المواد الخام منها ، وأسواق لتصدير المنتجات اليها بأضعاف اثمانها .

ومن اهم المحصولات هنا : البن والكاكاو والزيتون وجوز الهند ، وتوجد هذه الزراعة بشكل هائل ، وبأرخص الأثمان ، حيث لا يصدر منها الا ما يحتاج اليه المستعمرون ، والباقي يتداوله المواطنون ، ثم يلقون بالباقي في المزارع حتى يشاء الله .

كما يوجد في داهومي القطن والفول السوداني ونبات المنيوك « وطعمه كالبطاطس وحجمه ضخم جدا » وتوجد الذرة والبقول ، ويلاحظ فى هذه البلاد أن المسلمين يتمركزون فى العاصمة « برتونوفو » وفى كوتونو وزوجو وأيضا فى الشمال .

من عادات المسلمين

ويستلفت النظر ما لهم من عادات تستحق التأمل من ذلك مثلا ان كل حاج قبل أن يسافر الى البلاد المقدسة ، يدعو العلماء وكبار القوم ، يطعمهم ويسقيهم ، ثم يطلب دعواتهم له أن يعود بسلامة الله ، وقبيل سفره يقدمون له ما يستطيعون من الهدايا ، ويودعونه بالبكاء والحزن ، كأنه اللقاء الأخير .

وعند عودة الحجاج ترى جموعا حاشدة فى استقبالهم يرقصون ، ويدقون الطبول ، وهم يرتدون فاخر الثياب ، بينما الحجاج أيضا فى افخر الثياب الحريرية اللامعة ، وقلنسواتهم الخاصة التى يسمونها « الميكية » نسبة الى مكة المكرمة ، وينسجون حولها الكثير من الحكايات الخيالية ، ويدعون أن من يرتديها من غير الحجاج يموت بمرض فى راسه .

وفى كل مسجد تجد للحجاج الصفوف الأولى ، والكلمة المسموعة ، وعند اقامة احتفالات الاستقبال لهم يحضرها كبار مسئولى الدولة ورئيس الجمهورية بنفسه ، احتراما وطلبا لدعواتهم المستجابة .

ولهم اجتماعات مقفلة لا يحضرها غير الحجاج فقط ، حيث يكون الجميع فى ملابس موحدة ، متفق عليها من الحرير المزركش اللامع ، وقلنسوات خاصة بهم . ومثل هذه الأمور هى التى تشعر الكثيرين بالرهبة والخضوع الدينى ، وتحبب الكثير فى زيارة بيت الله ، كما أنها تجذب كثيرا من غير المسلمين للدخول

فى الاسلام . ولهم جمعيات خاصة بهم تقيمها طائفة اليوربا « يعرب » كما يقولون لا يقبل فيها غير الحاج — وويل لمن ينسى او يخطىء لينادى حاجا مجردا من لقبه ، فانه يعطى درسا بالغا فى احترام الحاج وقلنسوة الحاج التى فوق راسه !!

وفى الاحتفالات بمولد النبى الكريم يذبحون الأبقار والطيور ويوزعونها مع الحلوى على الفقراء والمساكين . ويقرءون سيرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

ويروى لى احد المعلمين اليوربا واسمه عبد العزيز أقوش وهو ممن يهتمون باللغة العربية « أن من العادة عند دفن الميت أن يشترى كل من له صلة نسب به ثيابا جديدة يلبسونها وهم يشيعونه الى مثواه الأخير ، بينما أولاده من حوله فى افخر الثياب واحلاها .

وعادات الخطوبة والزواج عندهم لا تقل غرابة عن هذا ، حيث يطلقون على طالب الزواج «الرنا» أى الدليل او الهادى — وعندما تعجبه أحد الفتيات ، يخاطبها مباشرة ، ودائما ترد عليه بأنها ستفكر فى الأمر ، وتذهب للمشاورة مع أمها التى تنصحها بالكتمان ، ثم يأتى الخطيب بنفسه الى دارها ، ويطلبها من أمها التى ترده أكثر من ثلاث مرات ، بينما هو مستمر فى كل مرة فى تقديم الهدايا . ثم يقولون له : سوف نسأل عن نسبك وحسبك . فاذا ما رأوا بعد البحث الطويل أن ليس هناك عداء بين العائلتين ، أو ليس فى نسبه مشرك أو فاسق ، وافق أهل العروس ، وعملوا احتفالا ضخما بيوم العرس يحضره اقارب الأسرتين ، ومعهم الوعاظ ، لبيان أمور الزواج لهم والطلاق ، وبعد ذلك تضرب الدفوف ، وتوزع الحلوى حتى الصباح .

مكانة الائمة

ومن الجدير بالتنويه به تلك المكانة الكبيرة التى يحتلها الامام فى نفوس المسلمين من التقديس والاحترام . ومن عادته فى كل عام ان يقوم بجولة فى الريف ، يعظ فيها الناس عموما ، ويدعو غير المسلمين الى الاسلام ، وفى نهاية الجولة يعود بحصيلة ضخمة من عبدة الأوثان ، أو النصارى صغارا وكبارا . فهناك بعض الطاعنين فى السن الذين لا يستطيعون الذهاب معه ، فيعطونه ابناءهم ليعلمهم الاسلام واللغة العربية — كما حدث اثناء زيارتنا لأحدهم ، وشرحنا لهم بعضا من مبادىء الاسلام فقد قام احدهم ليعلن أنه قد تبرع لأعضاء البعثة العربية بولدين لتعلمهم الاسلام واللغة العربية اقتناعا منه بالدعوة .

وان العجب لياخذ المرء كل ماخذ عندما يدخل بيت الامام فيرى منزله مكتظا بهؤلاء الأطفال الذين احضرهم ، وكلهم فى زى واحد ، وعمل لهم مدرسة واحدة ، يطعمهم ويكسوهم من نفقته الخاصة وبعض تبرعات أهل الخير — وان منظرهم ليشرح الصدر ، وهم فى صلاتهم يركعون ، ويسجدون الله ، وهم فى هذا الزى الواحد ، يناجون الله الواحد . وفى الصباح ينتظمون فى طابور المدرسة كانهم ابناء رجل واحد .

وبالرغم مما رايته ولم يعجبنى فقد حمدت الله وشكرته على ان الاسلام ما زال بخير يحميه الله ويرعاه — ينتشر من تلقاء نفسه ، ويقيض الله له من يرعاه ، ولو فى مجاهل البلاد ، من غير دعاية او امكانيات تبشير « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » صدق الله العظيم .



يكتبها : عبد المنعم النمر

مع حرية التفكير والتعبير ..

« التفكير والتعبير معا هما الدورة الدموية الصحية للديموقراطية .
اقصد ان اقول ان التفكير وحده نصف ديمقراطية ، لا يكتمل ولا يحقق قيمته بغير النصف الآخر .. وهو التعبير » .

« وكلا الوضعين — وضع مراكز القوة ، ووضع الأجهزة المتحكمة — فرض قيودا على امكانية التفكير والتعبير بطريقة منظمة اى بطريقة جماعية ، ولم يعد هناك — فى بعض الأحيان — غير التفكير والتعبير الفردى ، الذى يقف وحده فى الجو الموحش ، وامام العواصف .. وهذه مغامرة غير مامونة ، لأنه لا يمكن ان يطلب من كل الناس أن يبلغوا مرحلة القدسين والشهداء » .

« ويقال احيانا فى منطق التبرير : ان مراكز القوة كانت تخدم الثورة ، وان الأجهزة المتحكمة كانت تحميها . وليس ذلك صحيحاً فيما اتصور . واغلب الظن ان مراكز القوة كانت تخدم نفسها ، كما ان الأجهزة المتحكمة كانت تحمى نفسها » .

« ويبقى أن نضيف ان الديموقراطية ليست هى حق الشكوى من الخدمات مثلا . كبطء الاجراءات الحكومية . ومشاكل المواصلات واحوال المستشفيات .. تلك كلها مسائل لم يغلق باب الكلام عنها فى اى وقت من الأوقات » .

« كذلك فان الديموقراطية ليست هى مناقشة خطة التنمية مثلا ، او خطة الصناعة أو الزراعة او التعليم . تلك كلها قضايا اصبحت فى اختصاص العلماء والخبراء ، ووضع دقائقها امام الفرد العادى اصبح نوعا من التعجيز » .

« وانما مجال الديموقراطية الكبير هو العمل السياسى فى كل ناحية من النواحى الداخلية والخارجية » .

« ولقد عشنا مرحلة سابقة — كما قلت مرة من قبل — فى تجربة ديموقراطية بالموافقة ، ونحن ندخل الآن مرحلة لا يمكن ان تتحقق فيها الديموقراطية الا بالمشاركة . وذلك ضرورى لحماية خط تطورنا العام ، كما انه ضرورى للمحافظة على التوازن الوطنى بينما هو يمشى على هذا الخط » .

« اننا لا نستطيع الحفاظ على توازننا الوطني الا اذا كانت اكبر كمية من الحقائق متاحة لأكبر عدد من الناس يشتركون فى المناقشة ، ويشتركون في صنع القرار .. ومن هنا يتحملون مسئوليته » .

تلك فقرات من مقال الأستاذ (محمد حسنين هيكل) فى اهرام الجمعة (١٩٦٧/١٢/١) ، رأيت ان اضعها هنا فى (خواطر) لأنها خواطري وخواطر كل انسان ينشد لأمته الخير عن طريق الحرية .. ويحرص على ان يشارك برايه وجهده فى بناء الشوامخ فى بلاده .. ويضيق ذرعا بكل قيد يحول بينه وبين ما يحرص عليه او يحد منه .. ويرى أن كل قيد يفرض عليه ، يجمد مواهبه وقدراته ، ويحرم بلاده منها . ويميت فيه التطلع لخدمتها . ويحوله الى شبح انسان ، ويجعله مواطنا اتكاليا ينفض يده من مسئوليته تجاه بلاده ، ان لم يجعله يتربص لكل عمل ، وكل رأى ، وينقض عليه فى مجالسه ، ويصبح بذلك اداة تخريب .

ولقد علمنا الاسلام تقديس حرية الفكر وحرية التعبير ، حين لم يقبل ان يتخذ الاكراه وسيلة لاعتناقه ، وهو الحق الذى لا شك فيه .. وسجل ذلك فى آياته الخالدة : (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) ، « افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ؟

وفى الآية الاولى حقيقة لا بد ان نتنبه اليها جيدا ، فقد بنت عدم الاكراه او بنت الحرية على أساس العلم والمعرفة ، على معرفة الحق من الباطل والخطا من الصواب . « قد تبين الرشد من الغى » والمعنى الواضح لهذا الا تكون هناك حرية ، بدون فهم ووعى للموضوع ، بدون ان نضع الحقائق كاملة امام الناس ونبين لهم الضار من النافع ، والخطأ من الصواب . ولعل هذا هو الذى دعانى الى ان انادى فى افتتاحية سابقة بفتح النوافذ الداخلية والخارجية وقلت « افتحوا النوافذ الداخلية والخارجية لنعيش فى الأضواء ونبصر امامنا الطريق دون ضباب او خداع » وهذا هو الذى يقوله الاستاذ هيكل من جعل « أكبر كمية من الحقائق متاحة لاكبر عدد من الناس » وبذلك تقوم الحرية على عمدها الطبيعية بناء شامخا تسعد به الأمة . وتجنى خيره .

وكذلك علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حرية الفكر ، وحرية التعبير عنه ، فى كل خطوة خطاها بفكره وتدبيره .. واقتدى به الخلفاء الراشدون ، وجعلوا القاعدة العامة فى سياستهم لرعيتهم ، « ان رأيتمونى على حق فاعينونى وان رايتمونى على باطل فقومونى » وتلك هى اسمى ما يمكن أن تصل اليه حرية الفكر وحرية التعبير . وصل اليها اجدادنا الصالحون وعاشوا فى ظلها مع رعيتهم أقوياء كرماء ..

والى ما وصلوا اليه نتطلع ، وعلى خطواتهم نحب ان نسير ..

حرية الفكر وحرية التعبير .. روح سرت فينا مع اشراق الاسلام فى نفوسنا .

حرية الفكر وحرية التعبير .. هى أول حق من حقوق الانسان حتى ولدك الصغير لا تستطيع أن تحرمه منها بل تشفق أن تسد عليه منافذها .

حرية الفكر وحرية التعبير .. تجعل منك انسانا يشعر بوجوده وانسانيته ، ويحس واجبه ومسئوليته نحو بلاده ..

نعمة جعلها الله حقك الطبيعي فى الحياة ، كنعمة التنفس . ونعمة الشمس والهواء ، وهى حقا كما يصفها الاستاذ هيكل : « الدورة الدموية الصحية للديموقراطية » .

ولا صحة او لا حياة لأمة بغير الديمقراطية الصحيحة ، او بغير الشورى كما سماها القرآن الكريم .

مع تاريخنـــــا

من مطالعاتى فى تاريخ الاسلام فى الهند ، وسيرة الملوك المسلمين الذين حكموها ، اقدم لك هذه الباقات و .. العظات .. :

مخالى الشعير ..

كان شهاب الدين ابو المظفر محمد الغورى قد زحف بجيوشـــه من غزنة الى الهند ، وانتقل فيها من نصر الى نصر ، حتى خشيه ملوك الولايات الهندية فتجمعوا لقتاله وصده فى مكان قريب من دلهى بثمانية اميال . وامام القوة الكثيرة التى جمعها هؤلاء الملوك انهزم محمد الغورى ، وجرح حتى اشيع انه قتل .. ولكنه كان قد نقل الى مكان مامون ، بعيد عن المعركة ..
وكان اول ما فعله بعد ذلك ، ان اخذ الأمراء الغوريين الذين انهزموا عنه واسلموه ، فملأ مخالى خيلهم شعيرا ، وحلف لئن لم ياكلوه ليضربن اعناقهم ، فاكلوه ضرورة » ابن الأثير ص ٦٥ ج ١٩ .
هذه واحدة ..

اما الثانية فقد اتجه بها لنفسه لشدة وقع الهزيمة عليه .. فاقسم الا يقرب النساء ، ولا يغير ملابسه حتى ينتصر ، وينتقم ، ويغسل ما لحقه من عار .
ولم يمكث على ذلك طويلا اذ لم تمض سنة ، حتى تلاقى مع اعدائه سنة ٥٨٨ هـ ــ ١١٩٢ م فى مكان الموقعة الأولى ، وهزمهم شر هزيمة .. واسر ملك (اجمير) الذى كان يهدده وينذره من قبل ، وضرب عنقه .. واســـتولى على بلاده .

نساء مجاهدات ..

فى حملة من حملات السلطان المجاهد محمود الغزنوى على الهند واجه جمعا من الهندوس يفوق جيشه ، ورأى النساء المسلمات أن يشـــتركن مع السلطان المجاهد فى جهاده باسلوبهن ، فتبرعن بحليهن ، وبما استطعن جمعه من المال للجيش الاسلامى المجاهد فى الهند .. وبهذه الروح التى شملت الجيش المحارب ومن وراءه حتى النســـاء كسب الســـلطان الحرب واوقع باعدائه الهزيمة ..

علماء وملوك ..

ويذكر ابن بطوطة عن رحلته للهند « انه لما مات الملك قطب الدين ايبك استبد بالملك بعده مملوكه شمس الدين التمش ، واخذ الناس بالبيعة ، فاتاه الفقهاء يقدمهم قاضى القضاة اذ ذاك (وجيه الدين الكاسانى) فدخلوا عليه ، وقعدوا بين يديه ، وقعد القاضى الى جانبه كالعادة ، وفهم السلطان عنهم ما ارادوا ان يكلموه فيه ، فرفع طرف البساط الذى هو قاعد عليه ، واخرج لهم عقدا يتضمن عتقه ، فقراه القاضى والفقهاء وبايعوه جميعا » . وكلنا يعرف انه كان لهـــذا الموقف من العلماء شبيه له بمصر على صـــورة اروع وكان بطله عالما من افذاذ العلماء واحد الملوك من المماليك .

مصير الصغار عند ارتداد آبائهم

للأستاذ : نعمان عبد الرزاق السامرائي
كلية الشريعة ـ بغداد

تمهيد :

نود أن نورد هنا أولا توضيحا موجزا لمعنى الردة في المدلول اللغوى ، وفي المتعارف عليه عند الفقهاء ، ونورد لتعريف الردة في اللغة عبارة ابن منظور في لسان العرب ونصها :

« .. وقد ارتد ، وارتد عنه : تحول : وفي التنزيل « ومن يرتدد منكم عن دينه » (١) والاسم : الردة ، ومنه : الردة عن الاسلام ، أى الرجوع عنه ، وارتد فلان عن دينه : اذا كفر بعد اسلامه .. » (٢) أما في اصطلاح الفقهاء فقد عرف الفقهاء الردة بجملة تعاريف متقاربة لعل من اشملها تعريف الباجورى في حاشيته : (الردة : قطع الاسلام ، بنية كفر ، أو قول كفر ، أو فعل كفر ، أو فعل كسجود لصنم ، سواء كان على جهة الاستهزاء أو العناد أو الاعتقاد .. » وبعد هذه اللمحة .. نعالج أثر الردة على الأولاد الصغار ، على اعتبار تبعيتهم لآبائهم في حالة الاسلام فاذا كان الولد يعد مسلما تبعا لاسلام ابيه ، فهل يصير الولد مرتدا كذلك ، اذا غادر الأب المسلم دين الاسلام ، وارتد عنه ، وله أولاد صغار ! أم يبقون على الاسلام ويكون لهم حكم مستقل في هذه الحال ؟ ما الحكم اذا كانت الزوجة (أم الولد الصغير) مسلمة وظلت على اسلامها رغم ردة الأب ؟ وهل تختلف النتيجة اذا كانت كتابية ؟

لا يخلو الأمر حين يرتد مسلم وامرأته ولهما ولد صغير ـ أو أكثر ـ من أن يكون الحمل به وولادته قد حصلا في حال اسلام الأبوين ، أو أن يكون الحمل به حدث في حال الاسلام ثم ولد في حال الردة ، أو أن يكون حصول الحمل والولادة في الردة .

ومن جهة ثانية فالردة قد تقع من الأب وحده ، أو منه ومن امرأته معا ، وهذه المرأة اما مسلمة واما كتابية .

---

(١) البقرة آية : ٢١٧

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ ٤ ص ١٥٣ وجمهرة اللغة لابن دريد جـ ١ ـ ص ٧٢ وتاج العروس للزبيدى ج ٢ ص ٣٥١ والصحاح للجوهرى جـ ١ ص ٤٧٠ .

ومن حصيلة هذه الاحتمالات يمكننا ان نستعرض ما يتكون منها من قضايا متعددة لبيان الحكم الشرعي لها :

١ ــ من ولد في الاسلام قبل ردة أبويه :

مما لا نزاع فيه ان من ولد في الاسلام فهو مسلم ، لأنه ولد بين مسلمين ، فيحكم باسلامه تبعا لأبويه فان ارتد الأبوان فان الابن يبقى على اسلامه ، ولا يتبعهما في ردتهما ، لأن التبعية تتحول حينئذ الى الدار وهي دار اسلام . قد يقال : ان الدار لا تصلح لاثبات التبعية ابتداء فكيف نحكم باسلامه تبعا للدار ؟ والجواب انها تصلح للابقاء ، وفقا للقاعدة الفقهية القائلة : « يصح في البقاء ما لا يصح في الابتداء » .

ولعل الحكم باسلام من ذكرنا من الصغار محل اتفاق بين الفقهاء ــ فيما أعلم ــ وفي ذلك يقول الكاسانى الحنفى (.. فولد المرتد لا يخلو من أن يكون مولودا في الاسلام أو في الردة ، فان كان مولودا في الاسلام بأن ولد للزوجين وهما مسلمان ثم ارتدا : لا يحكم بردته ما دام في دار الاسلام ، لأنه لما ولد وأبواه مسلمان فقد حكم باسلامه تبعا لأبويه ، فلا يزول بردتهما لتحول التبعية الى الدار ، اذ الدار ــ وان كانت لا تصلح لاثبات التبعية ابتداء عند استتباع الأبوين فهى تصلح للابقاء ، لأنه أسهل من الابتداء ، فما دام في دار الاسلام يبقى على حكم الاسلام تبعا للدار ..) الا أنى وجدت تعميما للزيدية يقولون فيه ان الصغير يتبع أبويه في الاسلام والكفر ، من غير أن يفصلوا في المسألة بما يوضح رأيهم جيدا .

٢ ــ من كان حملا والأبوان مسلمان ثم ولد في ردتهما :

أما من حمل به في اسلام أبويه ، لكنه ولد بعد الردة فحكمه الاسلام ، وسبب ذلك أنه عند ابتداء الحمل كانا مسلمين فيحكم باسلامه ، ولا يتبع والديه في ردتهما لأن الاسلام يعلو كما يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وفي هذا يقول الصباغ الشافعى (.. ان أولاد المرتدين ان كانوا ولدوا قبل ردتهم أو ارتدوا ولهم حمل فانهم محكوم باسلامهم ولا يتبعونهم بالردة ، لأن الاسلام يعلو ، وقد تبعوهم في الاسلام فلا يتبعونهم في الكفر) .

وبمثل ما تقدم قال الزيدية (ويحكم لمن حمل به في الاسلام به لقوله تعالى (الحقنا بهم ذرياتهم) ولا حكم لردة أبويه من بعد) كما نقل هذا الرأى الشيرازى الشافعى .

٣ ــ من حمل به في حال الردة وولد فيها :

أما من حمل به وولد بعد ردة أبويه فهو كافر ، لأنه ولد بين أبوين كافرين ، لا نعلم في ذلك خلافا ، الا ما حكاه المرداوى الحنبلى من رأيين في اقراره على الكفر أو عدمه ، ثم أوضح أن المذهب هو الاقرار على الكفر ، (١) وما حكاه بهرام المالكى في احد الأقوال من انه يجبر على الاسلام (٢) .

---

(١) الانصاف للمرداوى ج ١ ص ٣٤٧ .

(٢) الشامل لبهرام مخطوطة ج ٢ ورقة ١٧١ .

٤ ـ اذا ارتـــد الأب دون الأم المسلمة :

اذا ارتد رجل مسلم دون امرأته المسلمة ، وولد له بعد ذلك ولد ، فانه يكون مسلما تبعا لأمه ، ولعـل السبب في ذلك ان المرتد لا ملة له ولا دين ، وهو ملزم بالتوبة ، والعودة للاسلام أو القتل ، ولهذا الحقـــوا الطفل بأمه المسلمة وفقا للقاعـــدة القائلة : (يتبع الابن خير الأبويـــن دينا) . وفي هذا يقول العلامة الشيخ احمد ابراهيم بك : (.. واذا ولـــد للمرتد ولد من امرأة مسلمة علقت به بعد الردة فان هذا الولد يعتبر مسلما تبعا لأمه ، فاذا مات المرتد ورثهِ هذا الولد ، لأن المسلم يرث المرتد ..) .

٥ ـ اذا ارتد الأب وكانـــت الأم كتابية :

اذا كان الأب مسلما فارتد ، والأم كتابية : يهودية أو نصرانية ، وولد لهم ولد فهو كافر ، لأنه ولد بين أبويـــن ليسا مسلمين ولا احدهما ، لذلـــك يحكم بكفـره ، وفي ذلـك يقـــول الشيرازى الشافعى (.. وان ولد له ولد بعد الردة من ذمية فهو كافر ، لأنه بين كافرين ..) (١) .
ويقول العلامة الشيخ احمد ابراهيم بك : (.. اما ان كانت أمه كتابيـــة يهودية أو نصرانية فان هذا الولـــد المولود له منها بعد ردته لا يرثه ، لأنه يجعل تبعا للمرتد لا لأمه ، وذلـــك لقرب المرتد الى الاسلام ، لأنه يجبر على العودة اليه ، وبهذا يصير الولد فى حكم المرتد ..) (٢) .

٦ ـ اذا قتل الأب المرتد هل يحكم لابنه الصغير بالاسلام ؟ :

المرتد اما ان يتوب فيعود للاسلام ، أو يصر على ردته فيقتل ، فان قتل والد الطفل لردته ، فمـــا مصـــير ابنـــه الصغير ؟ أيكون كافرا تبعا لوالده ؟ أم يكون مسلما تبعا للدار ؟

قال المالكية ببقاء الولد مسلمـــا ، سواء ولد قبل الردة أو بعدهـــا ، وعللوا ذلك بأن التبعية للأب انمـــا تكون في دين يقر عليــــه ، يقـــول الخرشى : (وبقى ولده مسلما) يعنى أن المرتد اذا قتل على ردته فـــان ولده الصغير يبقى على الاســـلام ، ولا يتبع أباه في ردته ، لأن التبعيـــة للأب أنما تكون في دين يقر عليه ، ويقصد بعبارة : « وبقى ولده مسلما » اى حكم باسلامه ، صغيرا كان أو كبيرا ، ولد قبل الردة أم بعدهـــا على المذهب .. ولعل التبعية هنـــا صارت للدار ، وهى دار الاسلام التى تصلح لاثباتها بقاء ، أو بسبب بقاء الأم مسلمة وان اهمل (الخرشى) بيان ذلك ، وقد أيد ما ذهب اليـــه الخرشى كل من عليش (٣) والقرافى (٤) من المالكية .

ويمكن اجمال ما تقدم من صور ، بأن كل مولود ولد لمسلمين حـــال اسلامهما فهو مسلم ، ومن حمل به في الاسلام ثم ولد في الردة فهو مسلم وأما من حمل به في حال الردة مـــن ابويه وولد فيها فهو كافر ، ومن ولد لأب مرتد وأم كتابية فهو كافر ، اما من ولد لأب مرتد وأم مسلمة فهـــو

---

(١) المهذب للشيرازى جـ ٢ ص ٢٢٤ .
(٢) مجلة القانون المصرية : العدد الأول السنة الاولى ص ١٣ .
(٣) شرح منح الجليل جـ ٤ ص ٤٦٦ .
(٤) الذخيرة للقرافي مخطوطة جـ ٢ ورقة ٢١٤ .

مسلم ، وكذلك من قتل ابوه مرتدا فهو مسلم .

ولعل من تتمة الحديث ، ولو من وجه ، أن نختمه بالكلام عمن كان مولودا بين كافرين في دار الاسلام فماتا وهو صغير ، فهل يحكم باسلامه ؟ وان مات احدهما دون الآخر فما حكم الصغير في دار الاسلام ؟؟؟

لندع الحديث لابن قدامة (١) يجلي المسألة قائلا : (وكذلك من مات من الأبوين على كفره قسم له الميراث وكان مسلما بموت من مات منهما) يعنى اذا مات أحد أبوى الولد الكافرين صار الولد مسلما بموته وقسم له الميراث ، واكثر الفقهاء على أنه لا يحكم باسلامه بموتهما ، ولا موت أحدهما ، لأنه يثبت كفره تبعا ولم يوجد منه اسلام ، ولا ممن هو تابع له فوجب ابقاؤه على ما كان عليه ، ولأنه لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من خلفائه انه أجبر أحدا من أهل الذمة على الاسلام بموت أبيه ، مع انه لم يخل زمنهم عن موت بعض أهل الذمة عن يتيم .

ويستدل ابن قدامة على رأيه فيقول : ولنا ــ أى للحنبلية ــ قوله صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) متفق عليه ، فجعل كفره بفعل أبويه ، فاذا مات احدهما انقطعت التبعية ، فوجب ابقاؤه على الفطرة التى ولد عليها ، لأن المسألة مفروضة فيمن مات أبوه في دار الاسلام ، وقضية الدار الحكم باسلام أهلها ، ولذلك حكمنا باسلام لقيطها ، وانما ثبت الكفر للطفل الذى له أبوان ، فاذا عدما او احدهما وجب بقاؤه على حكم الدار لانقطاع تبعيته لمن يكفر بها ، وانما قسم له الميراث ، لأن اسلامه انما ثبت بموت أبيه الذى استحق به الميراث فهو سبب لهما فلم يتقدم الاسلام المانع من الميراث على استحقاقه ، ولأن الحرية المعلقة بالموت لا توجب الميراث ، فيجب أن يكون الاسلام المعلق بالموت لا يمنع الميراث ، وهذا فيما اذا كان في دار الاسلام ، لأنه متى انقطعت تبعيته من ابويه أو احدهما ثبت له حكم الدار . .)

ولعل من المعقول أن نقول باسلام الصغير في دار الاسلام حين يموت والداه وهما غير مسلمين ، فنجرى عليه حكم الدار لقصوره حفظا له من الضياع ، ولئلا يصير كافرا في المستقبل ، ولكن عند وفاة احد الوالدين وبقاء الآخر فكيف نحكم باسلام الصغير وهو لم تنقطع تبعيته للباقى منهما ؟.

ثم أين هى الأدلة النقلية للرأى المعاكس غير الحديث المتقدم ، وهو محتمل أن ينصرف الى حال وفاة الوالدين كليهما لا احدهما ، خصوصا أن الحديث أسند التأثير للاثنين لا لأحدهما (فأبواه يهودانه أو ينصرانه او يمجسانه) .

لذا .. فان ساغ الحكم باسلام الصغير بوفاة أبويه الكافرين في دار الاسلام ، فلن يسهل التسليم بالحكم نفسه في حال وفاة أحدهما وبقائه في كنف الآخر وولايته ، اذ من الطبيعى أن يتبع الباقى منهما في دينه .

---

(١) المغنى لابن قدامة الحنبلى ج ٨ ص ٥٥٥ .

الإسلام في مستوى الصعيد الدولي

حماية الدولة للأجانب

للأستاذ على الخطيب

فى عصرنا الحاضر تبلغ الدولة مكانتها المرموقة بين الدول ، وتكتسب سمعة طيبة بقدر ما تتمتع به من أمن داخلى متين ، لا يقوم على ارهاب ، ولا ينبثق عن جبن ، بل بفضل ما ينتشر فى الدولة من نظم سياسية ، تقوم على توفير الثقة بحريات الشعب ، والايمان بقدرته على الاحتفاظ بتلك الحرية ، وحسن ممارستها ، ووعيه بحقوق الآخرين فى الدول الاجنبية .

على أن الدولة ترتقى الى الذروة من السمعة الطيبة ، حين يمكنها أن تحفظ لمواطنيها ـ عن ايمان ورغبة ـ حقهم فى الامن والحرية داخل بلادهم وخارجها على السواء ، وأن الدولة التى تبلغ بشعبها هذا المستوى من الرقى ، وتدفع به الى هذه الذروة من الحضارة لدولة قوية تستطيع ـ بجانب « ديمقراطيتها » وحبها للسلام ـ أن تفرض هيبتها على الآخرين ، فلا يكون أبناؤها عرضة للعبث بهم اذا حلوا بينهم .

ولقد أصبحت الدولة ـ اية دولة ـ ذات حق مباشر ، ومسئولية اولية فى حفظ حياة ابنائها ، وكرامتهم وأموالهم في داخل البلاد وخارجها ، وارتفع هذا الحق الى مستوى الصعيد الدولي ، فأقرته المجالات الدولية ، واصبح نافذ المفعول بين الدول الصديقة ، أو الدول التي تترابط مع آخرين بمعاهدات واتفاقات ، بواسطتها يتمكن « ممثل » أى بلد أن يباشر عمله فى حفظ حياة مواطنيه ، وأموالهم وكرامتهم ، أينما حلوا .

وانه لمن الواضح أن هذا الحق لم ينظم فى المجال الدولى بصورة فعالة الا فى العصور الحديثة ، ولا نستطيع أن نخدع أنفسنا ونقول : ان الامم جرت على هذا العرف منذ زمن قديم . فالواقع مخالف لهذا المنطق ، وان كانت هناك حوادث فردية تشير الى وجوده فيما سبق من سنين .

فمنذ تفتت الدولة الرومانية ، وابتدأت القوميات تستقل بأراضيها ، وتعلن سيادتها ـ برزت هذه المشكلة وتضخمت دون ما علاج ، بينما طابع الغدر بأفراد الجنسيات الاخرى قائم برا وبحرا ، ولا تغيب عن أذهاننا وقائع القرصنة فى البحار ، ولا قطع الطرقات فى القفار ، وان نجا ناج من ذلك فقد يتسم بصفة (عامة) كقنصل أو سفير . أما أفراد الناس العاديين فهم هدف الهلاك من أيد تبطش ، وهى تعلم أنها بمأمن من العقوبة .

وان هذا الوضع الذى كانت عليه الانسانية قبل تأكيد هذه الحقوق فى اطار دولى ليصمها ـــ حين تشرع لنفسها ، وتنأى عن السماء ـــ بالتأخر ، وان ارتفعت فيها الوان الحضارة ، واطنبت لها ابواق الدعاية ، ويكفى أن نعلم هنا ان القانون الدولى الحديث ـــ فى هذه المسألة ـــ جاء متأخرا أربعة عشر قرنا هى حياة الاسلام ، الذى نظم هذا الجانب ، وأقام حدوده ، ومارس تطبيقه على ضوء من شرعة الله الصائبة التى لا يمكن أن تضل ، واستطاع ان يعلم الدول الاخرى كيف تحافظ ـــ فى هذا الجانب ـــ على حقه وحق رعاياه .

واذا قلنا : ان الاسلام هو أول من نظم هذا الامر ، وجعله حقا دوليا ، فلسنا نريد بذلك خطف الاضواء له ، أو التبجح بما يبرأ الاسلام منه ، لذلك نقدم (قانون الاسلام) فى هذا الجانب مصحوبا بوقائعه ، حتى لا يشعر القارىء أننا اقتحمنا فكره عابثين مغرورين مغررين .

١ ـــ ففى المهد عندما كانت دولة الاسلام هى رقعة المدينة ليس غير ، ولم تكن تلك الدولة ـــ ان صح التعبير ـــ تمثل قوة (فارس) أو عظمة (الرومان) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع من أصحابه يريد مكة (معتمرا) وأرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه سفيرا له الى أهل مكة ، يبلغهم رغبة رسول الله وصحابته ، ويبين الهدف من مجيئهم ، وذهب عثمان وغاب ، واشيع بين المسلمين ـــ مجرد اشاعة ـــ أن عثمان قتل ، فثارت ثائرتهم وجمعهم الرسول صلى الله عليه وسلم اليه ، فبايعهم فردا فردا على الموت ، وعدم الفرار ، وقال عليه السلام : لا نبرح حتى نناجز القوم .

وسكنت ثورتهم حينما أدركوا أمر الاشاعة ، وعلموا أن سفيرهم سليم معافى . وتلك هى الحادثة التى نزل فيها قوله تعالى : «لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة . . الآية » وفى كتب التفسير تفصيل الحادثة لمن أراد. وهنا يتجلى حق الفرد فى حمايته لدى الآخرين .

وثمة حادثة أخرى ، تبرز هذا الدور .

فقد جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من عكل وعرينة ، وطلبوا اليه ايواءهم ورفدهم ، فأنزلهم الرسول صلى الله عليه وسلم منزلا طيبا خارج المدينة ، وترك لهم ابلا يغتذون منها ، كى تتوفر لهم الصحة والعافية ، حتى اذا برئوا كروا على رعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوهم ، واستاقوا الابل ، وفروا بها فى الصحراء ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمطاردتهم فلما عادوا بهم أمر بهم فقتلوا جميعا عقابا لهم على غدرهم (١) .

ولم يتوقف معاوية رضى الله عنه أمام وكزة وكزها « بطريق » عند ملك الروم لأحد الاعراب ، وأسرها معاوية فى نفسه ، ثم احتال حيلة كلفته المال الكثير ، حتى أتى بالبطريق أمامه مخطوفا من بلاده ، وأوقفه أمام الاعرابى وقال له : أهذا صاحبك . . ؟ قال الاعرابى : نعم . قال معاوية : افعل به ما فعل بك ولا تزد ، فوكزه الاعرابى . . ثم رد معاوية البطريق الى بلاده بعد أن لقنه هذا الدرس العادل .

ولا ينس المسلمون سبب فتح (عمورية) الذى قام به المعتصم الخليفة العباسى الثامن ، فقد كان سببه روميا صفع امرأة عربية فاستغاثت وصرخت . وامعتصماه ونقل الخبر عربى الى المعتصم فلباها بجيش فتح عمورية ، وأتى بالرومى فجعله (عبدا) للاعرابية . وكانت بدورها كريمة الطبع ، سخية السجايا فتركت (العبد) .

ان هذه الحوادث لتقرر فى وضوح حق الدولة الاسلامية فى رعاية أبنائها

---

(١) انظر صحيح البخارى باب قصة عكل وعرينة ، وباب المحاربين من أهل الكفر والردة .

فى الخارج ، والدفاع عنهم ، وتوفير أمنهم وكرامتهم وأعراضهم .. دون غصب ، ولا اعتداء من رعاياها ، ولا ينسى الاسلام ايضا وجوب تربية أبنائه على احترام مشاعر الغير ومقدساتهم ، فلا يجوز للمسلمين بأوطانهم ، أو بأوطان غيرهم أن يسبوا هذه المقدسات ، أو ينالوا منها ، يقول تعالى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله — ١٠٨ — الانعام .

كما لا يجوز للمسلم بوطن آخر ان يرتكب جريمة ، ثم يطلب الى الاسلام حمايته ، ويعنى هذا ان حق الفرد فى حمايته فى الداخل والخارج مصون ، طالما كان هو نفسه مستقيم السيرة ، مستقيم السلوك ، غير هدام للآخرين .

واذا كان الاسلام قد قرر لنفسه هذا الحق ، فهل حفظه للآخرين من رعايا الدول الاخرى الذين يقيمون بأرضه ..؟

ان الاسلام منح هذا الحق — حق الأمن وتوفير الكرامة فى بلاده حتى للأفراد من رعايا الاعداء فى بعض الاحوال .

وان الاسلام هنا « لا يعقد » الاجراءات التى تسمح بهذا الحق ، فقد كان الجندى — اى جندى — من المسلمين (١) يستطيع اعطاء هذا الحق لفرد أو أفراد من الاعداء لمصلحة عامة ، فلا يستطيع الحاكم الا أن يمضيه ، فالمسلمون (سواسية) تتكافأ دماؤهم ، ويأخذ بذمتهم أدناهم .

وان هذه البساطة بما اشتملت من وعى ، وهدف لاظهار روح الاسلام ، لا تضيق ابدا برعايا الاجانب على اى وجه كانوا ، سواء كانوا :

ا) أعضاء بعثات سياسية ، أو تجارية ، وما يلحق بهم من موظفين مختلفى الدرجات لشؤون واجباتهم .

ب)أو كانوا أفراد جاليات متعددة الاجناس .

جـ) أو أفرادا لجأوا الى الدولة .

د) أو طلبة .

فكل هؤلاء آمنون مطمئنون ، طالما دخلوا البلاد بناء على (معاهدة) أو حصلوا على (اذن خاص) بالاقامة ، ولو كان الحاصل على الاذن عدوا جاء البلاد لمفاوضة فى تبادل الاسرى أو غير ذلك . يقول تعالى :

... فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين — ٤ — التوبة « بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين » (٢) .

فكل عهد يجب الوفاء به ، ولا يشترط الاسلام من هؤلاء الا أن يحترموا مقدسات أهله ، وعرفهم ، ولا يسعون لضرر بهم ، فان نكثوا هذا العهد ، وطعنوا فى الدين ، وهزءوا بالعرف ، وسعوا الى الهدم ، وجب القصاص منهم تماما كأبناء البلاد .

أما اذا سلكوا بالحسنى ، فالدولة مسئولة عنهم ، وعما يقع لبعض أفرادهم من حوادث ، لا تخلو منها دولة ، كان يغتال احدهم ، أو يقتل خطأ ، وتسعى الدولة الى محاكمة الجانى من أبنائها ، وتعويض أسرة القتيل .

قال تعالى فى آية القتل : « وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله ، وتحرير رقبة مؤمنة » — ٩٢ — النساء .

هذا جانب من جوانب « دولة الاسلام ، وحسب الاسلام فخرا ان القانون الدولى حين قرر وحدد فى هذا الجانب ، كان متأخرا ، ولم يات بجديد ، وكان الاسلام وحده ممهد الطريق ورافع أعلامه . صنع الله الذى اتقن كل شىء .

---

(١) بل أعطاه الافراد العاديين من الرجال والنساء وحديث « قد أجرنا من اجرت يا أم هانىء » عند فتح مكة معروف واضح الدلالة على هذا . (الوعى)

(٢) ٧٦ آل عمران .

جلَّ من أبدع الوجود فنونا

للاستاذ : ابراهيم محمد نجا

ايه دوكان قد أتيتك والافـ   ـق جميل السمات .. حلو السفور

والطريق الجميل .. زهر وعطر   وغناء من جدول أو غدير

يلتوى تارة .. ويمتد أخرى   مثل سطر يمتد بين السطور

والروابى خلف السهول عذارى   يتراءين من وراء الستور

وضياء الصباح يرقص نشوا   ن ويشدو للنرجس المنثور

وعبير الزهور يصدح فى الرو   ض بلحن من الشعاع المنير

ونسيم المروج منديل عذرا   ء يناجى روحى بهمس مثير

عطر الحب نسجه .. وكساه   رقة الزهر والندى والحرير

وغناء المياه همس شجى   يسكب السحر فى حنايا الشعور

***

من أعلى الذرى يجىء .. ومن نبـ   ـع تغنى فيه بنات الحور

فهناك المجهول يبدأ من حيـ   ـث توارت معالم المنظور

وهنا الماء .. والجبال حواليـ   ـه نطاق من عالم مسحور

وأنا جالس أطل على النهـ   ـر الذى يرتمى بحضن الصخور

وادعا لا يكاد يصدر منه   غير خفق من قلبه المسرور

مثل طفل قد لاذ بالأم جذلا   ن .. فغطته بالحنان الوفير

أنا من حالق أراه .. كما أبـ   ـصر عينا عميقة التعبير

وأرى السد شامخا .. من بعيد   يتراءى كالمارد الاسطورى

جالسا فوق عرشه ، والرعايا   شاخصات من رهبة التوقير

يملك النهر .. فهو يمنح منه   ما تراه سجية التدبير

« زار الشاعر ناحية دوكان .. مركز قضاء السليمانية في شمال العراق .. وفيها سد دوكان الكبير وذلك اثناء عمله بالعراق ففاضت شاعريته بهذه القصيدة التصويرية الجميلة » ..

يدفق الماء كالنضار مذوبا — وهو أصفى من رائق البلور
صنعة تبهر العقول .. وفن — أبدعته روائع التفكير
اعجزت كل صنعة .. غير ما قد — أبدعته يد العلي القدير
جل من أبدع العقول التي تبـ — ـدع ما فوق قدرة التصوير

* * *

ها هنا رقة الجمال تجلت — في سهول صداحة بالطيور
وغدير يجتاز بالسهل نشوا — ن يغني غناء طفل غرير
وزهور كانهن عذارى — تتلقاك بالرحيق الطهور
وسماء تحلق الروح فيها — وهي ترقى على جناح الاثير

* * *

ها هنا رهبة الجمال تجلت — في جبال تعلو مطار النسور
آخذ بعضها بجانب بعض — فهي سد يصد كل مغير
كللت هامها بقايا ثلوج — كسنا الفجر أو كزهر نضير
تتبدى شم القصور اذا قا — مت على السفح .. مثل كوخ صغير
ووهاد كانها الافق المقـ — ـلوب في القاع .. من قديم العصور
او جبال معكوسة الوضع جوف — نسقتها يد الحكيم الخبير
جل من ابدع الوجود فنونا — من جمال .. لكل قلب شكور
ايه دوكان .. حان وقت رجوعي — فاعذريني .. وسامحي تقصيري
واذكريني كما سأذكر يوما — مر بي فيك مثل حلم قصير
ولأودع هذا الجمال وارجع — لحياتي .. بين الزحام الكبير

مائدة القارئ

اعدها : ابو نزار

ما من ليلة يهدي الي فيها عروس انا لها محب ، او ابشر فيها بغلام احب الى من ليلة شـديدة الجليد فى سرية من المهاجرين اصبح بهم العدو ، فعليكم بالجهاد .

خالد بن الوليد

فى الجاهلية الاولى

فى الجاهلية الاولى كانت القبـائل المنهزمة تدع الملذات التى الفتها حتى تدرك النصر ، فاذا نالت ثأرها ، ومحت عارها ، عادت الى ملذاتها وشاعرها يقول :

فسـاغ لى الشراب وكنت قبـلا أكاد اغص بالمـاء الفـرات

حقيبة أغرب من الخيال

قال الواقدى : حضر العيد وكنت فى ضائقة شديدة ، فقالت امراتى ، اما نحن فنصبر ، وأما صبياننا فكيف نعمل فى كسـوتهم . قلت صبرا وكان لى صديقان ، فكتبت الى أحدهما أسأله العون والمساعدة ، فوجه الى كيسا مختوما فيه الف درهم ، فما استقر فى يدى حتى بعث الى صـديقى الثانى يطلب منى العون والتوسعة ، فأرسلت اليه الكيس بخاتمه ثم اخبرت امراتى بما فعلت ، فاستحسنته ، ولم تعنفنى .

وبعد قليل حضر صديقى الأول ومعه الكيس بخاتمه ، وقال اصدقنى عما فعلت بالكيس الذى بعثت به اليك ، فعرفته الخبر ، فقال انك حين طلبت منى العون لم أكن املك الا هذا الكيس الذى بعثت به اليك ، وارسلت الى صديقى فلان (الصديق الثانى) أسأله المواساة ، فبعث الى بهذا الكيس الذى ارسلته اليه .

ابو حازم

روى ان سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموى قدم المدينة للزيارة ، وبعث الى أبى حازم ، فلما دخل عليه قال : تـكلم يا أبا حازم .. قال : نعم يا أمير المؤمنين أتكلم :

لا تأخذ الأشياء الا من حلها ، ولا تضعها الا فى اهلها .

قال : ومن يقدر على ذلك .

قال : من قلد من أمر الرعية ما قلدت .
قال : عظنا يا أبا حازم .
قال : اعلم أن هذا الامر لم يصل اليك الا بموت من قبلك ، وهو خارج من يديك بمثل ما سار اليك .
قال : مالك لا تجيء الينا .
قال : ما اصنع بالمجيء اليك يا أمير المؤمنين .. ان أدنيتني فتنتني ، وان اقصيتني اخزيتني ، وليس عندك ما ارجوك له ، وليس عندي ما اخافك عليه .
قال : فادفع الينا حاجتك .
قال : قد دفعتها الى من هو اقدر منك عليها ، فما أعطاني منها قبلت ، وما منعني منها رضيت .

منهج حياة

اكره الظهور ، وامقت الدعوى ، واجتنب الفضـول ، اعمل في صمت ، وامشي في قصد وهذه الخلال قد تعوق عن الوصـول في عصر كهذا العصر ، أعماله تظاهر ، واقواله هتاف ووسائله اعلان ، وغاياته شـهوة ، ولكن الذين يندفعون الى الأمام بهذه الدوافع لا يلبثون ان يفقدوا الأجنحة المصنوعة والمحركات المستعارة .

حكيم

في محيط الاسرة

في شعوب اسلامية كثيرة لا حرج من تأخير الزواج وتطويل أمر الفوضى الجنسية التي تسبقه حتى يمكن اعطاء مهر باهظ ، ودلالة هذا السلوك أن رعاية التقاليد الموروثة ، والوجاهات المنشـودة ، أحظى لدى الناس من رعاية الدين وابتغاء مرضاة الله . وفي الحديث «اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه»

***

ان الزواج وحده هو الحل الأول والأخير للمشـكلة الجنسية ، وهو أنبل صلة عرفتها الانسـانية لتكوين الاسرة وتربية الأولاد في جو زكي طهور . والله يقول : « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

***

ان المرأة المطروحة وراء سجن من الجهل والعمى يموت معها نصف الأمة ، ويمرض النصف الأخير .
والمرأة المتروكة للغي والهوى تضطرب معها الأمة كلها ، ويلعب بزمامهم الشيطان .

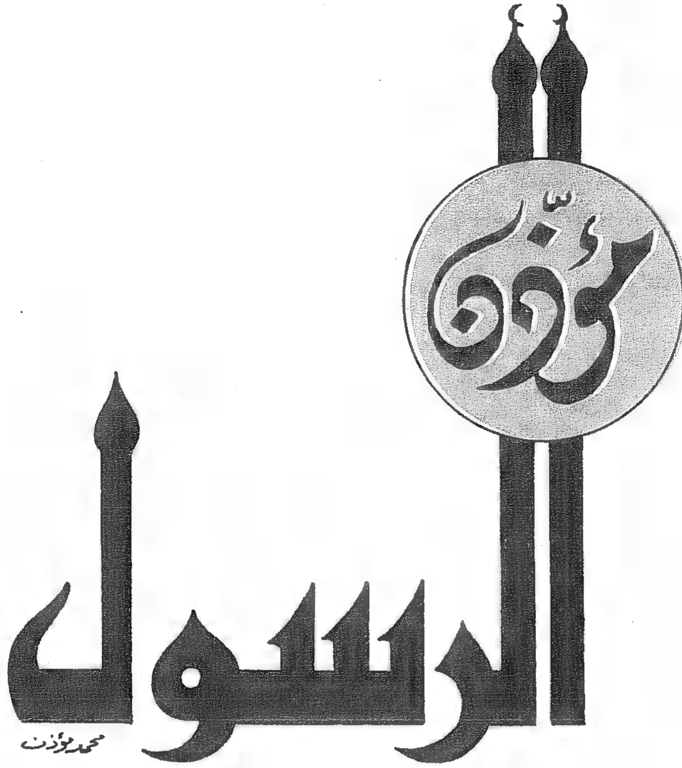
الأيدي الثلاثة

يد بيضاء ، ويد خضراء ، ويد سوداء ، فاليد البيضاء هي الابتداء بالمعروف واليد الخضراء هي المكافأة على المعروف ، واليد السوداء هي المن بالمعروف .

خلق السيادة

نظر المأمون يوما الى ابنه العباس وأخيه المعتصم ، فرأى ابنه العباس يتخذ المصانع ، ويبنى الضياع ، والمعتصم يمتلك الرجال ، فقال في المعتصم :

يبني الرجال وغـيره يبني القرى ... شـتان بين قرى وبين رجـال
قلق بـكثرة ماله وضـياعه ... حتى يفـرقه على الأبطـال



الأستاذ : احمد حسن قضاة ـ الأردن

نموذج من النماذج الطيبة ، وصحابي عظيم من أولئك الصحابة البررة ، الذين لاقوا الكثير من العنت والاضطهاد في سبيل العقيدة والثبات على المبدأ . . . انه بلال بن رباح رضي ألله تعالى عنه .

نشـاته :

ولد بلال من ابوين حبشيين ، كان قد جيء بهما من الحبشة وبيعا في سوق الرقيق بمكة . فنشأ بلال في قبيلة بني جمح عبدا لأحد اشرافها هو امية ابن خلف .

وكان بلال عبدا مدللا لدى سيده . فهو مطيع وامين ، حتى ان امية كثيرا ما كان يسيره بقوافل التجارة للقبيلة من مكة الى الشام ، ويخصه مرارا كثيرة بمسئولية القافلة نظرا لأمانته ومهارته .

وعرف عن بلال انه كان ذا صوت ندى ، يغنى لشباب مكة في أكثر الأوقات ، ويطربهم بحلو نغماته . وكان اكثر ما يتجلى غناؤه ، في كل مرة

يذهب بها مع قوافل التجارة الى الشام ، فينساب غناؤه عندئذ عذبا ، وينسكب فى آذان القوم الذين يرافقون القافلة ، فينعش أفئدتهم ، وينسيهم ما يكونون فيه من تعب الطريق ووعثاء السفر . .

اول الغيث :

وفى احدى سفراته الى الشام كان أبو بكر رضى الله تعالى عنه احد رفاقه فيها . فلما نفقت تجارة قريش ، وكادت القوافل تعود الى مكة ، لمح بلال أبا بكر يجد فى السير فلحقه وسأله . « الى أين يا أبا بكر ؟ » فقال أبو بكر . « الى راهب أستفسر منه عن رؤيا رأيتها » . ودعاه أبو بكر ليذهب معه ، فانطلقا حتى اتيا الراهب . وهناك قال الراهب لأبى بكر : « ان صدق الله رؤياك فانه يبعث نبى من قومك ، تكون أنت وزيره فى حياته وخليفته بعد مماته » . فسأل بلال . « وما النبى ؟ » فقال الراهب . « هو رسول من عند الله ، يرسله الله خالق السموات والأرض هدى للناس ، ويأمر ذلك النبى الناس بعبادة الله وحده ، ووصل الأرحام ، وتحطيم الأصنام » .

احدث قول الراهب وقعا عميقا فى نفس بلال ، وراح يتساءل . لم يعبد الأصنام ، ؟ فألفى نفسه لا يدرى . اذ شب بين قوم رآهم يعبدونها ، فعبدها مثلهم . ونشبت معركة بينه وبين نفسه انجلت عن تزعزع ايمانه بالأصنام ، والتشكك فى عقيدته .

النبى المنتظر :

وفى احدى الليالى ، والناس فى مكة نيام ، اذا بصوت خافت من جانب حجرة بلال يهتف به ، فيفيق مشدوها ليجد أبا بكر يزف اليه بشرى ظهور نبى هذه الأمة ، محمد بن عبد الله ، يدعو الناس الى التحرر من عبودية الأصنام الى عبادة الله خالق كل شىء ، والى المساواة بين السادة والعبيد ، والى الاخاء بين الناس جميعا ، فيطرق بلال مفكرا ، فيقنعه ابو بكر باعتناق هذا الدين معددا فضائله ومزاياه ، فلا يلبث هذا أن يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فيسر أبو بكر لذلك ، ويذهب به فى اليوم التالى سرا الى محمد ، فيبايع بلال النبى وهو لا يدرى أنه سيعذب فى هذا الدين ، ويمتحن فيه امتحانا شديدا ، يجعله سيد المتحنين ، وامام المعذبين الصابرين . . .

العذاب :

واصبح يختلف الى الرسول الكريم ، يتلقى منه تعاليم الدين الجديد . وقد اثرت فيه روح محمد القوية ، فحولته من عبد ذليل ، الى انسان ذى مثل عليا .

ووشى به الواشون الى مولاه ، فوقف أمية يوما على باب حجرة بلال يسترق السمع ، ليتأكد من الأمر ، فقرع أذنيه صوت بلال ، وهو يترنم بآيات الله البينات . وأرهف أذنيه فسمع كلاما ما سمع مثله من قبل قط ، فما هو

بالشعر ، وما هو بالسجع . فغمغم فى نفسه : هذا ما سحر العبد ، هذا قرآن محمد . وهنا ثار غضبه ، وضرب الباب بشدة ، ثم اندفع الى الداخل ، فلم يجزع بلال ، ولم يرتجف ، بل حلت فى قلبه السكينة ، وانتظر مصيره المحتوم .

قال له أمية : ما كنت تقرأ يا بلال ؟ فقال . كنت اقرأ كلام الله . قال : اى اله ؟ فقال : رب السموات والأرض وما بينهما سبحانه . قال : اكفرت بآلهتنا ، واتبعت رجلا مسحورا ؟ فقال . ما كفرت ، بل هدانى الله الى صراط مستقيم . فثارت ثائرة أمية ، ولطمه وصاح به : متى كان للعبد أن يتبع هواه ، أو يتخذ له الها غير آلهة سادته ؟ فقال بلال بلهجة الواثق : انى أعرف جيدا أنى عبدك ، ولكن أعلم يا مولاى أن ما تملك منى هو جسدى فقط ، أما عقلى ، أما ما يكنه صدرى ، فهذا جميعه لى وحدى ، ولا شأن لك به .

احد .. أحد :

وبذل أمية ما وسعه ليرد هذا الصابىء — فى نظره — عن دينه الجديد . وهدد وتوعد ، ولكن دون جدوى . وأسرع الى الباب هائجا يصيح بالخدم . انضوا عن هذا الكافر ثيابه ، وألبسوه الأسمال البالية ، وقيدوه . فالتفت بلال الى أمية ، وقال : ها هى ذى ثيابكم الغالية ، فلا حاجة لى فيها . وخلع ثيابه ولبس الأسمال ، ثم قيدوه ، ووقف ينتظر العذاب بقلب ثابت ، ونفس راضية ، مما زاد — ذلك من غيظ امية ، فتقدم منه مغضبا ، ووضع فى عنقه حبلا غليظا ، ثم جذب الحبل جذبة شديدة ، آلمت بلالا ، ولكنه لم يتكلم . ونادى أمية صبيان القبيلة ، وأمرهم أن يعدوا به فى شوارع مكة ، ليكون عبرة للصابئين ، فخرجوا به يتصايحون ، وهو يردد . أحد .. أحد . ونال التعب آخر الأمر من الصبيان ، فعادوا به الى الدار ، وهو اقوى على الحق مما كان ، فقد هان لديه كل شىء بعد أن ذاق حلاوة الايمان ..

وعاد اليه امية ، راجيا أن يكون ما صادفه فى يومه من بلاء ، رادعا له . فأقبل عليه يلاطفه : عسى أن تكون قد ثبت الى رشدك يا بلال ؟ فيجيبه . احد .. أحد . وكلما تكلم معه امية بشىء ، يجيبه بشعاره الخالد : أحد . أحد . فركله هذا ركلة شديدة واتجه صوب الباب ، فصاحبه بلال .. « احد .. احد . والله لو اعلم كلمة هى أغيظ لكم منها لقلتها » .

وتتابع العذاب عليه ، وهو صامد ثابت ، لا تضعف له قناة ، ولا يلين له جانب . وقد تفنن أمية فى تعذيبه ، فقيده يوما واضجعه على الرمال ، وتركه للشمس يلفحه حرها ، ثم أمر بوضع صخرة كبيرة فوق صدره ، فازداد الكرب على بلال ، ولكنه ازداد مع ذلك صلابة وعنادا .

ابو بكر يشتريه ويعتقه :

وسمع أبو بكر — وكان جالسا عند النبي — ما بلغ بصاحبه من العذاب . فخرج مسرعا الى المكان الذى يعذب فيه ، وصاح مغضبا بأمية . الى متى

تعذب هذا العبد ؟ فيجيبه أمية : انه يعذب بسببك يا ابن ابى قحافة ، فما افسده سواك . وحدث رد واخذ فى القول بين الرجلين قال له أبو بكر اخيرا . انى على استعدادا لشرائه . فقبل أمية ــ تخلصا منه ــ واشتراه أبو بكر ، ثم أزاح الصخرة عن صدره ، وانطلق به الى الرسول . وفى الطريق التفت بلال الى أبى بكر وقال « ان كنت انما اشتريتنى لنفسك فأمسكنى ، وان كنت انما اشتريتنى لله فدعنى وعمل الله » فأطلق أبو بكر سراحه .

راحت قريش تطارد المسلمين وتفتن فى ايقاع الأذى بهم ، وزال ما كان فيه بلال من نعيم عند أمية ، وأقبل بدلا منه التشرد والجوع ، فما نال هذا التبدل من نفسه شيئا ، بل زادها صفاء وصقلا ..

الحنين الى الوطن :

ولما هاجر المسلمون سرا من مكة الى المدينة ، بعد أن ضاعفت قريش اذاها لهم ، هاجر بلال مع من هاجر ، تاركا وراءه مكة الحبيبة .. مكة التى نشأ فيها ، ودرج فى رحابها ، وتربطه بها ذكريات عزيزة عليه ، وان لم تكن جميلة كلها بسبب ما لقى على أرضها من عذاب . ثم لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة ، كان الوباء منتشرا بها ، فأخذت الحمى كثيرا من المسلمين . وكان بلال كلما أقلعت عنه الحمى فترة ، ينتقل به خياله من يثرب الى مكة ، فتجيش نفسه بالحنين ، فيرفع عقيرته ينشد بصوته العذب الحنون .

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة ... وهل يبدون لى شامة وطفيل (١)

ثم يقول : اللهم العن شيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ، كما اخرجونا من مكة .

ولما وصل خبر ذلك الحنين الى سمع النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم احبب الينا المدينة حبنا مكة أو أشد » .

مؤذن الرسول :

وعندما اهتدى المسلمون الى ما يدعوهم الى الصلاة من اذان كان قد اسند الى بلال بايعاز من الرسول ــ أمر الأذان ، لعذوبة صوته كما قدمنا ، فكان ينساب الأذان من حنجرته فى أجواء يثرب ، حلوا نديا ، يسحر القلوب ويخلب الألباب ..

مقتل امية :

وانجلت غزوة بدر الكبرى عن هزيمة المشركين وانتصار المسلمين كما هو معروف ، وقد قتل فيها أكثر سادات قريش وأشرافها ، وفيهم امية بن خلف مولى بلال . قتله بلال وهو يقول : امية بن خلف لا نجوت ان نجا » .

اين انتم من بلال :

ولما جاء آل هند الخولانية ــ زوج بلال فيما بعد يستمعون راى رسول الله فى بلال ، بعد أن كاشفهم بحاله لما جاءهم خاطبا . قال لهم رسول

---

(١) أسماء أماكن وجبال بمكة وما حولها .

« البقية ص ٨٧ »

لالا .. خديجة

قصة من نضال الجزائر
عاش رجالها أروع أيام الحياة

للاستاذ : محمد صبيح

مقدمة :

« من دق الطبول ورقص الخيول .. من أزيز الرصاص ومروق الحراب والسهام ، صاغت أوروبا خيالاتها عن الشرق .

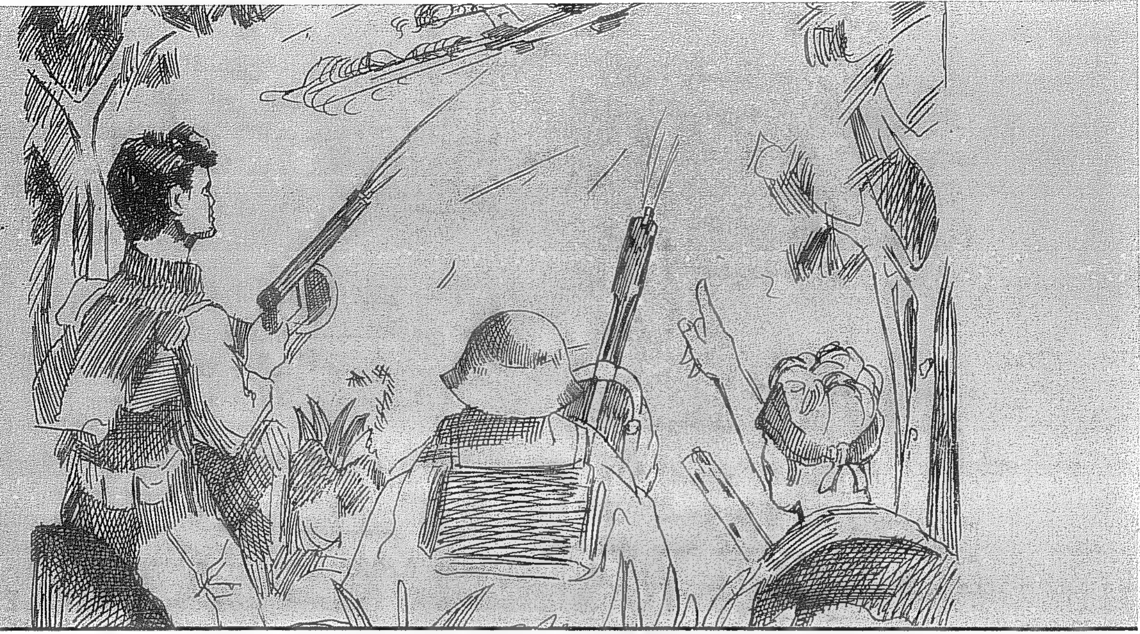
ومن الاناء الكبير ، وموقد الحطب ،والطاهى الاسود ، والرجل الابيض موثوق الكتاف ، قدمت اوروبا فكاهاتها ، لتقول ان اهل القارة الافريقية ، لا شيء يبهج زعيمها غير وجبة دسمة من لحم البشر !

وتجاهل الرجل الأبيض ، فى القارة الاوروبية الصغيرة ، ان كل فكرة تعيش فيه ، وكل علم تعتز به ، انما حمله اليها أقوام عاشوا فى افريقية وآسيا ، وعبروا لها المضيق الذى يحمل اسم واحد من أبنائهم ــ مضيق طارق ــ واشعلوا فى ظلام الفكر الاوروبى الف شمعة وشمعة ، حتى خلص هؤلاء البيض من جهالتهم العمياء ، ولكن شيئا لم يتخلصوا منه بعد ، وهو التعصب الأسود ضد كل ما هو شرقى .

والحرب الدائرة الآن ، فى فلسطين ، وماحولها ، هى قمة هذا التعصب ، تعود بالانسان العربى الى صراعه الأكبر منذ عشرة قرون ضد ملايين الأوروبيين الذين رفعوا شعار الصليب ظلما للصليب وتعاليم صاحبه عليه السلام ، لكى تخوض خيولهم الى بطونها فى دماء المسلمين ، ولكى يشقوا طريقهم الى مكة المكرمة والمدينة المنورة !! ولكنهم خابوا بالأمس ، وارتد سعيهم خذلانا وعارا ، وانتقلت المعركة على أيدى العثمانيين الى عقر دارهم حتى نهر الدانوب ..

وهذا الانسان العربى .. وهذا العالم الاسلامى ، ان يترك المغتصب يفوز اليوم ، بما عجز عن الفوز به بالامس .. فالطاقات تتجمع ، والمعركة توشك أن تتجدد ..

ولنا فى معركة الجزائر الباسلة أسوة .. وهذه صفحة من صفحات نضالها تضيء بأروع المعانى .. »



« الفصل الاول »

المكان : منطقة صخرية من جبال الأطلس ، تعلوها أعلى قمم هـذه الجبال ، التى اسـمها « لالا .. خديجة » اى السيدة خديجة .

الأشـخاص : الرجال : رزق البشـير — عبدون — بن مهدى العربى — آخرون ..
النساء : زهرة — رضـا — امينة ..

(**الريح :** يسمع صوتها تزأر بين قمم الأطلس .. ثم تهدأ وتسـكن تدريجيا) ..

رزق البشير : (هامسا فى اناة) يا شباب .. امسكوا حبالكم جيدا .. خمس دقائق باقية على الفجر . ونصل الى قمة « لالا .. خديجة » .

الرجال : « لالا .. خديجة » .. ويتردد النغم .

الصدى : « لالا .. خديجة » .. « لالا .. خديجـة » .. (يخفت الصـوت من بعيـد) « لالا .. خديجة » ..

أصوات : (تسمع انفاس الرجال .. ووقـع اقدامهم) .. هوب .. صوت بنادق .. وصناديق توضـع على الأرض .

رزق البشير : هيا يا شباب .. نحمل صناديق السـلاح والذخيرة داخل المخبأ قبل أن تكشف الطائرات مكاننا ..

(تسـمع حركة نقل ، وهمهمة اصوات) .

حسنا .. والآن .. هيا نصـلى الفجر (صمت قليل) الله اكبر .

صوت : (موسـيقى مثل دقات السـاعة)

الجميع : السـلام عليكم ورحمة الله ..

رزق البشير : يا شـباب انا

تجاوزت الستين ، ولكنى احس انى فى عافية ابن العشرين .. فهذا الجبل الجبل (الجرجورة) كأنه جزء منى ، او انا جزء منه .. عال .. طاهر .. قوى .. يرفع راســه دائما .

عبدون : اســترح قليلا يا عمى رزق ، فان لدى اســئلة عن هذا الجبل ، من جبال الأطلس .. ولماذا سميت قمته « لالا .. خديجة » .

رزق : أنت يا عبـدون يجب أن تستريح .. فستنزل بعد الظهر الى نصف الجبل ، تنتظـــر اخواتنا المجـــاهدات أمينة وزهرة ورضا وتحضر لنا منهن التموين ، وشقيقتك أمينة تحضر لنا معهــا تعليمــات القيادة ..

بن مهدى : هواء الجبل النقى ، ملأ قلوبنا نشاطا ، وعيوننا يقظة .. واحاديثك معنا عن كفاحنا وذكريات ماضينا ، تملأ نفوسنا عزما ..

رزق : حسنا يا اخوانى .. قصة « لالا .. خديجة » ســمعتها من استاذى عبد الحـميد بن باديس ، طيب الله ذكره ..

الجميع : رحمة الله عليه .

رزق : نعم .. انه شيخنا الذى جدد لنا شباب الايمان ، فى جمعية العلماء التى انشأها ونماها ، ودفع حياته ثمنــا لها ، لكنه ترك وراءه رجالا مؤمنين بداعي الاسلام .. قال لنا ان العرب عندما وصلوا الى هذه البلاد ، صــعدوا الى هذه القمة ، ورفعوا فوقها راية الاسلام ، وكانت راية سيدى عقبة بن نافع ، قيل انها كانت من رايات سيد الخلق ســيدنا محــمد عليه أزكى صلاة وتسليم .

الجميع : صلي الله عليه وسلم

رزق : ونصب هؤلاء المجــاهدون الأول رايتهم فى هذا المكان ، وأطلقوا عليه اسم ام المؤمنين خديجة رضي الله عنها .

عبدون : اى ان «لالا .. خديجة» هى سيدتنا خديجة .

رزق : نعم .

عبدون : يا له من جهد ان يصعد هؤلاء البواسل الى هذا المكان .

رزق : ولقد صــعدوا ايضا الى جبال الألب بعد ذلك ، وأقاموا فيها ثمانين سنة كانوا ســادتها ، وقمم الألب اعلى من هذه القمة وتكسوها الثلوج ..

بن مهدى : ان أختي أمينة دائما تدرس لتلميذاتها سيرة الســيدة خديجة ، وتقول انهــا بصــبرها وايمانها تلهم بنات الجزائر ، ويكفى انها وهى فى الستين احتملت حصار قريش ثلاث ســنين فى شــعب الجبل ..

رزق : نحــن دائما نكتب تاريخ الرجال .. أما دور نسائنا من أجل الحياة والحق ، فطالما نسيناه .. ولكن الذين سبقونا لم ينسوه أبدا .

عبدون : نريد ان نســمع أيضا قصة سيدى عقبة .

رزق : ســأحكى لــكم قصته . وقصة نساء الأطلس ، قبل الاسلام ودورهم فى كفاح غزو الرومان .. والآن نستريح قليلا .

(يســمع صــوت الريح ، تنقل نغمة : (لا لا خديجة وصداها) .

— ٢ —

صوت : (صوت صفارة يأتى من بعيد)

صوت نسائى : زهرة .. زهرة .. هل سمعت صوتا !

زهرة : نعم يا امينة .. هذه صفارة أخيك عبدون .. اختنا رضا تستطيع ان تقلد صفارته وترد عليه (تنادى) : رضا رضا .. أين انت .. كانت وراءنا من دقيقة .

امينة : انتظرى يا زهرة مع هذه الأشياء لأعود باحثة عن رضا .. (فترة صمت) رضا .. رضا .. يا سلام عليك يا رضا .. لماذا لا تردين ؟ هل تعبت ؟

رضا : (فى همس) هس .. س .. س .. هذا زوج من فراخ الحمام الصغير ينتظر امه .

امينة : وهل انت أم الحمام ؟ حتى تجلسى معه هكذا ؟

رضا : ايوه انه يرقد بين يدى مطمئنا ، بعد ان اعطيته فتات طعام كان معى .

امينة : حسنا .. اتركيه الآن ، فأمينة وحدها .. وعبدون فى طريقه .

رضا : نفسى اصير مثل هذا الحمام الطاير .. فى حرية .. فى أمان .. اغنى .. واعبد الرحمن .. (تقلد صوت الحمام فى نغمة قريبة من لفظ الرحمن) .. ها انذا اعيده الى عشه حتى لا اغضب امه .

امينة : لقد تقدموا يبحثون عنا ..

عبدون : انا عارف زميلتنا رضا . انها تجمع زهورا جبلية .

امينة : تقريبا .. انها مثل الغزال الشارد .. تعيش فى شعرها ، وأحلامها ..

رضا : (تغنى) ..

المجموعة :

هيا بنا هيا بنا
نزف مجد أمنا
هيا نوادع المنى
بشدونا وحبنا
ونملأ الدنيا هنا
لالا خديجة

الصدى : لالا ..

المجموعة :

هيا بنا الى الجبل
نرقى الوهاد والقمم
وعند اشراق الأمل
هيا ننبت العلم
نقيم ايدى امنا
لالا خديجة

الصدى : لالا خديجة ..

المجموعة :

هيا نصافح السحاب ..
والجليد .. والمطر
وبالزهور والربيع ..
والنجوم .. والقمر
نقيم ايدى امنا
لالا خديجة

الصدى : لالا .. (1)

عبدون : يا جماعة .. ما احلى اصواتكن .. يا ليت اخواتنا هناك فى القمة كانوا معنا الآن .

رضا : نحن قررنا ..

امينة : نعم قررنا ان نصعد الى القمة .. نصنع علم جيش التحرير ، نسلمه لكم فى المكان الذى سيرفع فيه يوم النصر ، وهو قريب .

رضا : (فى شدو) نعم نرفعه .. فوق .. فوق .. فوق ..

عبدون : هذا غير معقول .. تعليمات رزق الشبير انى آخذ منكن التموين هنا .. وتعدن .

امينة : مرة واحدة نتطلع الى القمة .. نشعر اننا اقرب الى ربنا .. والى ارواح شهدائنا ..

زهرة : ان لم تاخذنا .. لن نبرح هذا المكان .

---

(1) الشعر من نظم الشاعر القاهرى احمد سويلم .

عبدون : انا اعلم ان الرحلة خطرة .. لكننا نسينا الخطر من زمن .

رضا : (تغنى : فوق .. فوق .. فوق) .

— ٣ —

رزق البشير : أنت يا عبدون احضرت الطعام ، ومن عمل الطعام ؟

عبدون : كان هناك تصميم .. وانت تعلم امينة ، وفرقتها !

البشير : اهلا بهن على كل حال .

بن مهدى : انت وعدتنا بقصتين عن نساء بلادنا أيام الرومان ، وعن سيدى عقبة .

البنات : نعم . نريد أن نسمع !

البشير : حدث مرة أيام حروب الرومان ضدنا ، وكان هذا قبل الاسلام بقرن ونصف قرن ، أن ارسلوا جيوشا جرارة ، للاستيلاء على أكبر مدننا ، وهى قرطاجنة .

رضا : أيام هانيبال ، البطل العظيم ؟

البشير : تأملى يا بنتى يا رضا ، ننطق اسم واحد من أبطالنا مثل ما يكتبه وينطقه الأعاجم .. هذا البطل ، أصله من الشام ، واسمه (حن بعل) يعنى الاله القديم بعل عطف عليه .

زهرة : غريبة .. بطلنا هذا من الشام .

البشير : جدودنا القدامى ، واصولنا كلها من الشام .. كان فيه مملكة اسمها صور ، وحدثت مظالم اضطرت اهلها للهجرة فجاءوا الى هنا .. وحتى (حن بعل) عندما خسر آخر معاركه مع روما ، رحل الى أرض أجداده ، ومات ودفن فى انطاكيه .

عبدون : يعنى نحن عرب من الأزل .

البشير : نعم . وبعد (حن بعل) ابنه استمر فى الحرب ، ورد الرومان عن قرطاجنة ، وقد مات فى هذه المعارك أكثر من نصف مليون قتيل .. وفى احدى المعارك بليت الحبال التى يتسلق بها المغاربة للحصول على تموين المدافعين ، ولم يجدوا [illegible]الا مطلقا نتيجة الحصار .

امينة : وكيف تصرفوا اذن ؟

البشير : جاء دور النساء لانقاذ الموقف ، اذ قص النساء شعورهن ، وجدلن منها حبالا ، وكانت هذه تضحية عظيمة ، فان الشعر الطويل كان زينة نساء ذلك الزمان .. اليس كذلك يا رضا ..

امينة : رضا غابت فى خيالها الشاعرى .

رضا : (تغنى .. وموسيقى اشبه بحركة المقصات .. واصداء المعركة) ..

صوت :

لا وقت للعطر
والسحر والزهر

اصوات :

جدتم بما يغلو
بالروح .. والعمر
ونحن نهديكم
جدائل الشعر

صوت :

حبائلا طالت
تضيق بالصبر
شدوا بها الشما
من مفرق الفجر
واسموا الدنيا
تكبيرة النصر

البشير : ما اكثر تضحيات بلادنا ضد اوربا .. معركتنا الآن ضد فرنسا ليست الا حلقة من سلسلة معارك استمرت الفين من السنين .

امينة : وقصة سيدى عقبة يا عم رزق .

البشير : حسنا . اسمعوا يا

اولادى : لما جاء العرب ، رحب بهم كثير من أهلها المغاربة لاتحاد الاصول كما ذكرنا ، ولكن البلاد واسعة ، وكانت الحملات لها محدودة العدد ، ومعاركها ضارية جدا بسبب تغلغل الرومان فيها .. ومن هذه المعارك ما يوازى ما قام به خالد بن الوليد ، وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص .. وكانت مصر هي مركز الغزو كلما سمحت ظروف الحكم في دمشق .

امينة : سيدى عقبة جاء مرتين الى المغرب .

رزق : نعم في المرة الاولى بنى مدينة القيروان لتكون عاصمة البلاد بعيدا عن المدن الساحلية ، ولكنه استدعى الى دمشق .. فترك خلفه أحد رجاله ، وهو أبو المهاجر .

زهرة : وهل تابع أبو المهاجر الحرب .

رزق : انهمك في بناء عاصمة جديدة له ، وترك القيروان تنعى من بناها .. وما هى الا فترة من الزمن حتى عاد عقبة ، فقيد أبا المهاجر فى معسكره ، حتى لا يفسد عليه الأمر ، وتابع الغزو حتى وصل الى طنجة ومراكش .

رضا : نعم . انا اعرف انه واجه المحيط الاطلنطى بخيله .

البشير : انه ما تزال صورة شيخنا عبد الحميد بن باديس ماثلة امامى الآن وهو يردد خطبة عقبة ، وأمواج المحيط تزمجر امامه وهو يقول :

« اللهم انى لم اخرج اليك بطرا .. ولا أشرا

« انك سبحانك لتعلم انما نطلب أن تعبد ولا يشرك بك شيء

« اللهم انا معاندون لدين الكفر ، ومدافعون عن دين الاسلام

« فكن لنا يا ربنا ، ولا تكن علينا يا ذا الجلال والإكرام » .

رضا : لقد تحركت نفسى بشعر يردد اقوال سيدى عقبة .

الجميع : قولى يا شاعرة الجزائر قولى .

رضا :

ايها الأطلسى ماذا وراءك
آه لو اننى علمت انتهاءك
آه لو كانت الجبال .. لدكت
ولعسكرت بالرمال صفاءك
ولأجريت بالدماء الرواسي
ولبددت بالهدى ظلماءك

امينة : يا عمى البشير .. وماذا حدث لسيدى عقبة ، بعد ذلك .

البشير : عاد جيشه منصورا ، وفي ركابه كسيلة أمير البربر الذى تظاهر بالاسلام .

رضا : وما اصل البربر ؟

البشير : انى احب مقاطعتك يا بنتى .. البربر كلمة أطلقها الاغريق القدماء على اجدادنا ، لأنهم كانوا لا يفهمون لغتنا القديمة .. وليس معناها أننا همج .. ثم اختلط بنا نحوا من ثمانين الفا من الوندال النازحين من المانيا الى اسبانيا الى المغرب .

امينة : ولكن الفرنسيين حاولوا ان يبحثوا عن أصول قديمة للغة البربر .

البشير : ووجدوا الكثير من الفاظها أصله عربى .

زهرة : وماذا حدث لسيدى عقبة ؟

البشير : عاد منصورا ، وقرب القيروان ، أمر الجيش ان يسبقه ، وظل هو فى المؤخرة مع ثلثمائة من رجاله ، ومنهم ابو المهاجر وكسيلة .. ولكن كسيلة هذا هرب ، وجمع بسرعة قوة من انصاره ، وحاصر معسكر عقبة .. ففك قيد ابى المهاجر ، واوعز له ان يتسلل

ويهرب ، ليدبر الامر فى القيروان ، وهنا حدث حادث من أروع صور البطولة .
رضا : (فى لهفة) ماذا حدث ؟

البشير : رفض ابو المهاجر ، ان يتجو بنفسه ، وعزم على أميره أن ينجو هو ، اذ كيف يترك ميدان الفداء والاستشهاد ليصبح أميرا .. ان مركز الشهادة أعلى وأعز من كل ما سواه ..
رضا : هذا عظيم .

البشير : وحارب الاثنان واستشهد الجميع ، وهناك قرب بسكرة توجد أضرحتهم ، وهى كما تعلمون اعظم مزار اسلامى فى شمال افريقية كلها .

أمينة : عندما تفتح مدارسنا بعد النصر ستكون دروسى عن هذه الامجاد ، ونريد أن نسمع تاريخنا ايام دولتنا العربية ، ودولتنا التركية .
بن المهدى : اننا جئنا هنا نحارب ، لا لنسمع التاريخ .
عبدون : حربنا اليوم ، جزء من تاريخنا القومى .. وكلامنا هذا جزء من حربنا ، وعدة نضالنا وطريقنا للنصر .
البشير : تمام يا ولدى . انت تعرف مثلنا الجزائرى الذى يقول : « ما ينكر أصله الا البغل » .
صوت : (أزيز طائرة) .
عبدون : هس .. هذا صوت طائرة .. أدخلوا المغارة .. هات الرشاش يا ابن المهدى ، خذ حافة الجبل الشرقية ..
صوت : (الطائرة تقترب) .

رضا : أريد أن أرى اخوانى ، وهم يصطادون العدو فى الجو .
صوت : ارجعى يا مجنونة الطيار شافك وشاور عليك .

الطائرة : (تطلق مدفعها الرشاش) .
رضا : (تصاب . وتقول فى أنين) أضربوا .. اضربوا يا اخواتى .

صوت : (طلقات موجهة نحو الطائرة .. صوت انفجار) .
عبدون : (فى فرح) صدناها .. صدناها .

صوت : (ارتطام ضخم فى سفح الجبل) .
بن المهدى : (يحضر من مركزه) مالكم ساكتون ؟

رضا : (بصوت ضعيف) الحمد لله .. رايت نصرنا .. رايت عدونا نازل تحت .. تحت .. تحت ..
عبدون ــ بن المهدى : (فى ذعر) رضا أصيبت ..

زهرة : (فى صوت باك) يا ليتنى كنت المصابة .. رضا مدرسة ، ولازمة لبلدنا اكثر منى .
رضا : (فى صوت خافت) .. يا عم البشير .. احكى حكاية بابا عروج .. وخير الدين .. روحى ستكون معكم وتسمع .

البشير : حاضر يا رضا .. يا أعز المجاهدات ..
رضا : انا ذاهبة للشهيدات .. زاهية .. وحسيبة .. ووديدة .. وبهية .. وكلنا ذاهبون عند أم المؤمنين آمنت بربى ونبيى .. وعروبتى ووطنى ..

البشير : استريحى يا بنتى .. ربنا يلطف بك وبنا جميعا .

رضا : اشهد الا اله الا الله .. وأن محمدا رسول رسول .. انا ذاهبة (.. لا .. لا .. خديجة .. لا .. لا

الصدى : (يردد) لالا خديجة .. لالا .. خديجة) ..

الله صلى الله عليه وسلم . « أين أنتم من بلال ، أين أنتم من رجل من أهل الجنة ؟ » .

بعد وفاة الرسول :

وعندما توفى الرسول الكريم عليه السلام ، ترك فى نفوس الناس لوعة وأسى . فهذا بلال لا يفتأ بعد وفاته يتذكر حب النبى له وعطفه عليه فيقول . ان فى موته خسارة ، ولكن هذا قضاء الله ، فصبرا جميلا . ثم يأبى أن يؤذن لأحد — ما استطاع — بعد رسول الله . .

جهاده فى سبيل الله :

دارت المعارك الطاحنة بين الجيوش الاسلامية ، وجيوش الفرس فى العراق وجيوش الروم فى الشام ، فهب المسلمون يتسابقون الى الشهادة ، ولحق بلال بأبى عبيدة فى الشام ، اذ خرج وزوجه من يثرب ، تاركين الأهل والوطن ابتغاء مرضاة الله ، فانضما الى الجيش ، وراحا يزحفان معه صوب بيت المقدس .

واتجه أبو عبيدة الى الجابية ، وصحب بلالا معه ، وجاء عمر فأقبل عليه الناس ، ثم حان وقت الصلاة ، فطلب الناس من عمر أن يأمر بلالا بالأذان . فانطلق صوت بلال الذى طالما سرى فى المدينة على عهد الرسول ، فأهاج الذكريات ، وبكى الحاضرون لذكرى الرسول الحبيب ، وبكى عمر حتى بل لحيته .

فتح القدس :

وفتح المسلمون بيت المقدس ، وراح بلال يجوب المدينة التى أورثهم الله اياها . وتذكر يوم قال لهم النبى . أن الله سيورثهم ملك الفرس والروم ، فقال . صدقت يا رسول الله ، أين من كانوا يكذبونك ليروا اليوم جيوشك المظفرة وهى تكتسح جيوش الفرح والروم ؟ أين من كانوا يسخرون كأمية وأبى جهل وشيبة ليروا نصرك المبين ؟؟ »

رؤيا :

ورأى بلال ليلة فى منامه النبى الحبيب يعاتبه ليذهب لزيارته ، فخرج من الشام قاصدا يثرب حيث قبر الرسول عليه السلام ، وهناك وقف أمام القبر هاتفا بصوت تخنقه العبرات . السلام عليك يا رسول الله . ثم مكث بالمدينة ما شاء الله له أن يمكث . وأخيرا قرر العودة الى الشام فاتجه قبل عودته الى أصحابه مودعا باكيا كأنه يودعهم الوداع الأخير . . .

وفاته :

واستأنف بلال حياته فى الشام ، الى أن حضرته الوفاة . ولحق بحبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبصحبه الكرام الذين سبقوه الى الجنة . . رضى الله عنهم أجمعين .

الفتاوى

في الزكاة

السؤال :

١ ــ هل يجوز الصرف من الزكاة على مستحقيها قبل وبعد وجوب استحقاقها ؟

٢ ــ وهل يجوز ان يصرف منها للهيئات الخيرية لاغاثة ومواساة المسلمين المتضررين من الحروب والنكبات ــ ولبناء مساجد ومدارس ومساعدة الدعوة الاسلامية لمقاومة الاحتلال الصهيونى ؟

٣ ــ وهل يجوز ان يصرف منها لمنكوبين مسيحيين ؟

محمد العبد الله ــ الكويت

الاجابة :

١ ــ **بالنسبة لتعجيل الزكاة** : يجوز تعجيل الزكاة واداؤها قبل الحول ولو لعامين فمن الزهرى انه كان لا يرى بأسا ان يعجل زكاته قبل الحول وسئل الحسن عن رجل اخرج زكاة ثلاث سنين ايجزيه . قال يجزيه ، قال الشوكانى والى ذلك ذهب الشافعى واحمد والاحناف . وقال مالك انه لا يجزى حتى يحول الحول واستند الى الاحاديث التى بهـا تعلق الوجوب بالحول . وتسليم ذلك لا يضر من قال بصحة التعجيل لأن الوجوب متعلق بالحول ، فلا نزاع وانما النزاع فى الاجزاء قبله ، وسبب الخلاف نشأ عن كون الزكاة هى عبادة أو حق واجب للمساكين ، فمن ذهب الى انها عبادة كالصلاة لم يجز اخراجها قبل الوقت ومن قال انها حق واجب للمساكين اجاز اخراجها قبل الوقت على جهة التطوع استنادا الى حديث على رضى الله عنه ، ان النبى صلى الله عليه وسلم استسلف صدقة العباس قبل محلها .

٢ — بالنسبة للجهات التى تصرف اليها الزكاة : قال تعالى « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » .

هناك أشخاص لا يجدون ما يكفيهم ولا يقدرون على تحصيل ما به يكتفون ، وهناك مصالح ضرورية لا بد منها فى اقامة الدولة والدين وقد ورد فى الآية من الافراد . ابن السبيل وهو الشخص الذى انقطع عن بلده واحتاج الى المال — ويعتبر كل مسلم تضرر من الحروب والنكبات ممن تجوز صرف الزكاة اليه — كما ورد فى الآية أن من الجهات التى تصرف لها الزكاة « وفى سبيل الله » وهذه تشمل سائر المصالح التى هى اساس الدولة واولها الاستعداد الحربى بجميع لوازمه من مستشفيات ومعدات كما تشمل انشاء المساجد فى الجهات التى لا توجد فيها المساجد الكافية ، وانشاء المدارس والمعاهد ومساعدة الهيئات الاسلامية التى تدعو الى اقامة الدين وشعائره ومقاومة اعداء الدين كاليهود وهؤلاء ، لا مانع من دفع الزكاة اليهم ، ونقل عن بعض الفقهاء — انهم اجازوا صرف الصدقات الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد ، لأن سبيل الله عام فى الكل . وذهب بعض الفقهاء الى أنه لا يجوز صرف الزكاة فى بناء مسجد أو مدرسة أو فى حج أو جهاد أو نحو ذلك لأن ذلك تمليك لغير مستحق الزكاة — والتمليك ركن للزكاة .

٣ — بالنسبة لصرف الزكاة للمنكوبين المسيحيين :

الزكاة المفروضة لا يجوز دفعها لغير المسلم بالاجماع لأن النبى صلى الله عليه وسلم جعلها لفقراء المسلمين فقط فى حديثه لمعاذ حين بعثه الى اليمن وقال له «فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم» .
وأما صدقة الفطر فذهب جمهور الفقهاء الى عدم الجواز وذهب البعض الى جواز دفعها الى غير المسلم وأما سائر صدقات التطوع فجمهور الائمة على جواز دفعها لغير المسلم — والافضل دفعها الى القريب لما فيه من صلة الرحم .

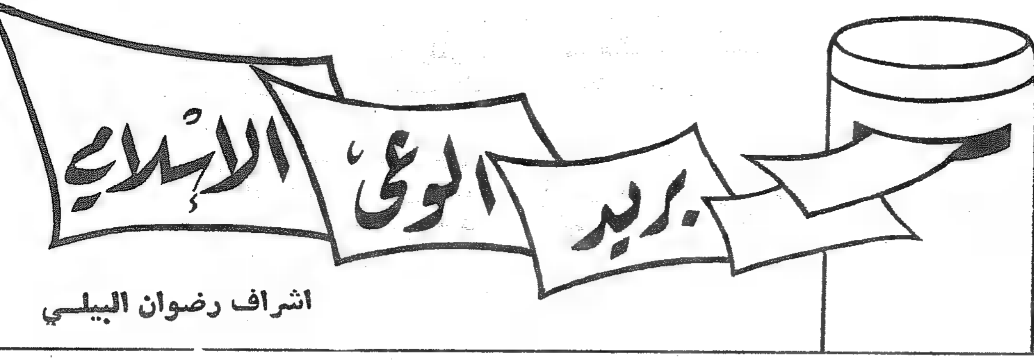
السؤال :

رضعت والدتى من اختها الكبيرة (خالتى)
فهل يجوز لى الزواج من بنت خالتى التى رضعت منها امى ؟

م. ع. ا.
الكويت

الاجابة :

المقرر شرعا انه يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب . وبرضاع والدتك من اختها الكبيرة صارت أما لها من الرضاع وبالتالى يصير أولاد المرضعة أخوالا لك من الرضاع وخالات . ولا يجوز لرجل أن يتزوج خالته من النسب او الرضاع .



التعليم الجامعي

اما في رسالة من الكاتب الكبير والمؤلف الاسلامي المعروف الاستاذ محمود مهدى استانبولي وجهها الى السادة مديرى الجامعات العربية واساتذتها من اجل تجديد الارادات وشحذ الهمم والسير فى دروب الاصلاح الصحيح لانشاء جيل جديد يتحمل التبعات واعادة المجد الضائع . وقد صدر هذه الرسالة بقوله : ان التعليم الجامعى فى الحالة الراهنة لا يستطيع ان يقوم بهذا الدور القيادى والعمل المصيرى . ما لم تحدث انقلابا جذريا في مناهج الجامعة واساليبها وامتحاناتها ، وما لم نعد الى ذاكرتنا اهداف هذا التعليم بصورة واضحة .

وتناولت الرسالة بشيء من التفصيل اهداف التعليم الجامعى الذى ينشد اعداد صفوة من الشباب الطموح الوثاب لقيادة امتهم فى الميادين المادية والروحية .. وهذا لا يتم الا بتعليم يقوى فى الطلبة الشعور بالتبعية ، ويدفعهم الى الحرية فى البحث والاستقلال فى الراى . يتعرفون على مشكلات امتهم ووطنهم ، ويساهمون فى وضع الحلول لها بابداع ودراسة وتخطيط .. كل ذلك بموضوعية وشمول خاليين عن التعصب والهوى ، وبروح جامعية بعيدة عن السطحية والغرور .

وتطالب الرسالة بان تعمل الجامعات على تشجيع البحث العلمى والعمل على تقدم المعارف الانسانية والكشوف العلمية ، وتسنيع التعليم فى مختلف درجاته وخاصة التعليم الجامعى ، كما تركز الرسالة على ضرورة السمو بالقيم الروحية لدى الطالب الجامعى .

ويستثير الواقع المؤلم الذى تعيش فيه الامة العربية صاحب الرسالة ، فيقول فى خاتمتها : آمل ان توقظ هذه النكسة النائم ، وتنبه الوسنان ، وتشحذ الهمم شان الامم الحية التى تحيى النكسات نفوسها ، وتثير عزائمها ، وقد قال احد الكتاب : لا شيء يجعلنا عظماء كالالم .

لنذكر الاعداء والاحزاب من يهود وكفرة الذين احاطوا بالعروبة المسلمة من الداخل والخارج فى غزوة الخندق فاستعدت وصبرت وصابرت حتى تم لها النصر .. لنذكر هذه العروبة فى غزوة احد يوم انقض عليها الاعداء من اعلاها واسفل منها ، فاصيبت بنكسة رهيبة ، فجمعت شملها ، وشحذت ارادتها ، وجددت عزيمتها فعاد لها النصر .

لنذكر الوقفة البطولية للامام ابن تيمية يوم انقذ الشام من غزوة التتار بايقاظه للنفوس اليائسة حتى حقق النصر .

لنذكر فى العصر الحديث ما أصاب فرنسا فى أول الحرب العالمية الثانية ،

وما أصاب المانيا واليابان في نهايتها من نكسات قاصمة حتى ظن الكثيرون أنه لن تقوم لهذه الدول قائمة ولكن سرعان ما غالبت الصعاب ، وصارعت النكبات ، وسخرت بالمصائب ، وقدمت التضحيات حتى أعادت قوتها ، واسترجعت مكانتها بين الدول الكبرى .

ان حياتنا فى سباق بين العلم والجهل .. بين الجهل والعلم .. بين التخطيط والتخليط .. بين المنهج والفرض .. بين المجد والدمار .

ترى أن يكون لنا تربية قوية وتعليم صحيح ، يجعلاننا نسخر من النكبة ، ونضحك للنكبة ، ونبعث أمتنا من جديد . ؟

□□□

مائدة المسيح

ويطلب السيد جعفر ابو سن من القضارف بالسودان ايضاحا عن مائدة عيسى عليه السلام التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم فيقول فى رسالته : هل نزلت لعيسى من السماء حافلة بألوان الطعام اكل منها حواريوه فعلا ؟

ــ الحديث عن هذه المائدة ورد فى السورة التى سميت بها فى الآيات (١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨) وهى « اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين » .

والنص القرآنى صريح فى أن الحواريين وهم أصحاب عيسى المخلصون الذين آمنوا بالله ورسوله عيسى ، واشهدوا الله على ايمانهم ــ طلبوا من عيسى ان يسأل الله لهم أن ينزل عليهم مائدة من السماء تسد حاجتهم من الطعام ، وتزيدهم ايمانا واطمئنانا بالمشاهدة بعد ايمانهم بالنظر والفكر والدليل على قدرة الله عز وجل ، وعلى صدق نبيه عيسى ، ويشهدون بهذه الآية عند بنى اسرائيل ، فيؤمن المستعد للايمان منهم .

والنص القرآنى يفيد أن المسيح عليه السلام بعد أن أمرهم بتقوى الله ، التى تستوجب عدم اقتراح الآيات عليه سبحانه ، وبعد أن تيقن من صحة قصدهم ، وانهم لا يريدون بهذا تعجيزا ولا تجربة ــ دعا الله تعالى وطلب منه ان ينزل مائدة من السماء ــ ونضع تحت كلمة السماء هنا خطا عريضا ــ تكون عيدا ومتاعا للمؤمنين دون غيرهم ، وآية واضحة على صدق نبوته ورسالته .

فالمائدة التى طلبها الحواريون مائدة حسية ، والمائدة التى سأل عيسى ربه ان ينزلها عليه مائدة حسية .. بقى القول بعد ذلك : هل نزلت هذه المطلوبة فعلا ام لا ؟.. فذهب بعض المفسرين الى انها لم تنزل . قال الحسن : لما قيل لهم (فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين) خافوا وقالوا : لا حاجة لنا فيها ، فلم تنزل ، ونقل هذا الرأى عن مجاهد أيضا ، ويميل الى الاخذ به كثير لأن خبر المائدة لا تعرفه النصارى ، وليس هو فى كتابهم ، ولو كانت قد نزلت لتواتر نقله عنهم ، وروى عن بعض المفسرين انها نزلت بالفعل ، وتكلموا فى الوان الطعام الذى كان عليها فقيل خبز وسمك وقيل خبز ولحم ، وقيل من ثمار الجنة ، وقيل انه من نوع ما كان ينزل على بنى اسرائيل فى التيه من المن الذى يجمعونه عن الحجارة وورق الشجر ، واستند القائلون بنزولها الى أن الله قال لهم « انى منزلها عليكم » ووعد الله حق .. والله أعلم .

بأقلام القرّاء

التعدد والطلاق

تناول السيد محمود سليم دوعر ــ الكويت ــ موضوع الزوجات والطلاق فقال :

والتعدد فى الاسلام ، مباح ، فهو ليس واجبا ولم يلزم به المسلم ، ان شاء تزوج بالأربع وان شاء أمسك على واحدة .. ولكن كونه مباحا لا يعنى تحريمه من قبل زيد أو عمرو .. قال تعالى : (فانكحوا ما طاب لكم من النســاء مثنى وثلاث ورباع) .. (فان خفتم الا تعدلوا فواحدة ، او ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) .

ولكن الذين أعمى الله قلوبهم عن الحقيقة الناصــعة ، يهاجمون التعدد المباح للمسلم ويقبلون تعدد الخليلات والصاحبات . هاجموا ما يبعث فى المجتمع الستر والخلق الرفيع ، وأباحوا الزندقة والفاحشة الحيوانية .

ونذكر أسبابا لا يزيلها الا التعدد ولا يحل مشاكلها الا هذه الشريعة السمحة الطاهرة مثل :

١ ــ الحروب وما تحصده من الرجال حصدا .. حيث تترك زوجات كثيرات بلا أزواج .

٢ ــ مرض الزوجة مرضا لا يسهل على الزوج الجماع .

٣ ــ أن تكون الزوجة عاقرا لا تلد .

٤ ــ الشهوة الجامحة لدى بعض الرجال .

أما الطلاق فكما نعق الناعقون على التعدد ، فقد نعقوا حول الطــلاق أيضا ، قالوا : ان الطلاق هدم للأسرة وتشتيت للأولاد وعيب فى هذا العصر ، ولكن الحق يقال ، العيب فى تفكيرهم . قال سبحانه وتعالى : (الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) وقال سبحانه (يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) فشرع الله سبحانه الطلاق للمســلم ، وهل نجبر الزوجين على حياة كلها نكد وعــدم اطمئنان أو أن يطلقها باحسان ؟ هل نجبر الزوجين على حياة طويلة مرهقة اذا مرضت المرأة مرضا معديا أو أصابها مس من جنون تعذر معه العيش فى بيت واحد ؟ هل نجبر الزوج على ابقاء زوجة زلت ولم ترتدع ؟ وهل نحكم بالسجن المؤبد على الزوجين اذا تعذر الصلح بينهما ؟ هل نبقى الزوجين فى جحيم أبدى لا يطاق أو أن الطلاق خير لهما والله العالم بالسرائر وهو علام الغيوب يقول : (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) .

اثر القرآن في صيانة اللغة

وكتب الاخ عبد الخالق عبد الرحمن من بغداد تحت هذا العنوان يقول :

كان من أثر القرآن فى صيانة اللغة العربية ان اتخذت المساجد دار ثقافة لا تقتصر البحوث فيها على الأمور الدينية بل تتناول اللغة والأخبار والشعر ، وقد كانت تقام فى المساجد الاجتماعات العامة وتلقى الخطب ويتقاضى الناس ويتعلمون مختلف العلوم ويشهدون مجالس الدرس والوعظ ، وكتب الأدب وأسفار التاريخ مملوءة بحوادث كبار الفقهاء والعلماء والأدباء حيث كانوا يعقدون حلقاتهم فى أروقة المساجد . فحلقة للعلوم الدينية ، واخرى للعلوم اللسانية ، وثالثة للكلام والمناظرة ، وغيرها للشعر والأدب ، وكانت حلقة للمعتزلة فى مسجد المنصور فى بغداد ، وقد أملى الطبرى ، شعر الطرماح فى مسجد عمرو بمصر وتذاكر الكميت وحمادا الراوية فى الشعر وايام العرب فى مسجد الكوفة .

والمجال كان واسعا للراغبين فى ارتشاف مناهل العلم ، والتنقل من حلقة الى اخرى ولهم ملء الحرية فى التعلم والتثقيف .

لقد كان هم العرب تلاوة القرآن وتفسير آياته وفهم اساليبه ودراسة الأحاديث النبوية كتبيان للكتاب ومصدر من مصادر التشريع .

ولم تكن دراسة الأحاديث النبوية كافية لاستجلاء مواضع الغموض والابهام فى القرآن فكان لا بد لهم ان يرجعوا الى اللغة فيتدبروا ما فيها من الأشعار والحكم والأمثال السائرة التى انشدها شعراء العرب أو القاها فصحاؤهم وحكماؤهم فى ايام الجاهلية ليستعينوا بها على فهم ما ورد فى القرآن من الالفاظ الفصيحة .

قال ابن عباس : (اذا قراتم شيئا من كتاب الله لم تعرفوه فاطلبوه فى اشعار العرب لأن الشعر ديوان العرب) .

قرض لم يسدد

ويوجه الشاعر الاستاذ احمد ابو المجد عيسى المفتش بوزارة التربية بالجمهورية العربية هذه الأبيات الى الذين يقترضون ولا يسددون :

يا صاح أنت أخذتها ... لتردها من بعد يوم
لكن أراك تسومني ... فى نيل حقى شر سوم
خلفتني فى حاجة ... قد حملتني كل هم
مثل الذى قلبت سفينته ... رياح فى خضم
لو كنت املك غيرها ... ما كان دفعك بالمهم
قد كنت أرجو أن تكو ... ن العون فى الخطب الملم
فغدوت تبعث للصدا ... ة من مطالك اى سهم

• • • • • •

ولقد هززتك بالملا ... م فلم يفدني اى لوم
وذهبت فى وفد اليـ ... ـك مؤلف من خير قومى
من بعد وعد سابق ... اكدته فى صبح يوم
لأرد حقا ضائما ... من اجله قد طار نومى
فلجأت للصمت العمـ ... ـيق ولست بالرجل الأصم
وهضمت حقى اذ قصد ... ت يا صديقى اى هضم
ان كنت لا تنوي السدا ... د فانني جربت صومى

قالت صحف العالم

القرآن واحداث الساعة

تحت هذا العنوان كتبت مجلة (رابطة العالم الاسلامى) بمكة تقول :
يا اخى المتسائل : لا بد للمسلمين لكى ينتصروا كما انتصر اسلافنا رضوان الله عليهم اجمعين من امور هامة :

اولا : ان يقاتلوا عدوهم باسم الاسلام لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى ولا يقاتلوا اعداء الله باسم عصبية ولا وطنية ولا شجاعة ولا حمية ولا رياء فكل ذلك لغير الله وقد قال تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » .

ثانيا : من اهم اسباب النصر فى القتال : الثبات امام الاعداء وكثرة ذكر الله تعالى اثناء القتـــال وعدم الفرقة والصبر وعدم الفرار . والاعتمـــاد على الله فلا تتركن النفس لغير الله . فالايمان بالله والتوكل عليه من اهم اسباب النصر فى ميادين القتال يقول تعالى مبينا كل ذلك : « يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » . ولا بد للنصر من اقامة الشعائر الدينية وعدم التفريط فيها كما كان يفعل جنود الاسلام الاولون فى ميادين القتال . وقد ذكر الشيخ رشيد رضا رحمه الله فى تفسيره المنار الجزء العاشر هذه الكلمة نوردها هنا للعبرة والذكرى : قال : وثبت أنه كان من اسباب انتصار الجيش البلغارى على الجيش التركى فى حرب البلقان المشهورة ما كان من ابطـــال القـــواد والضـــباط من التـــرك للأذان والصـــلاة من الجيش . والدعـــاية التى بثوهـــا فيـــه من وجوب الحـــرب للوطن وباسم الوطن ولشرف الوطن ، فلما علموا بهذا اعادوا المؤذنين والائمة بعمائمهم الى كل طابور واقاموا الصلاة فيهم ، وقد روت الجرائد ان العساكر لمـــا سمعت الأذان [illegible] ببكاء بنشيج كان له تأثير عظيم . وكان تأثير ذلك بعود الكرة على البلغار ا هـ .

فوعد الله لا يتخلف وسنته فى العالم لا تتغير ولا تتبدل « ولن تجد لسنة الله تبديلا » فاذا اراد المسلمون العزة والكرامة والتأييد والنصر من الله سبحانه فطريق ذلك بين واضح الاخلاص لله والجهاد فى سبيله والاعتماد عليه والالتجاء اليه وازالة الشقاق والفرقة والوقوف صفا واحدا امام عدونا المشترك . فعلى بركة الله ايها المسلمون وكونوا جنود الله فجند الله لا يغلب « وان جندنا لهم الغالبون » .

معوقات انتشار الاسلام فى افريقيا

ونشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية تحت هذا العنوان تقول :
وان هناك صراعا عنيفا ، تدور رحاه فوق ارض افريقيا ، وذلك من اجل

جذب القارة الافريقية الى الاسلام أو النصرانية ورغم أن الدين الاسلامي يحرز تقدما لا بأس به فى افريقيا ، الا أن هذا التقدم غير مرض بالنسبة لنا ، وذلك بسبب عدم وجود الاهتمام اللازم والكافى بهذا الامر . ولذلك ، فاننا نجد أن عدد اتباع الاسلام فى افريقيا ، اليوم لا يزيد عن (١٥٠) مليونا من اصل (٣٥٠) مليونا وهم سكان افريقيا . وان البعثات التبشيرية ، الغنية بالوسائل المادية والدعائية ، والتى تؤيدها حكوماتها القوية ، ومنظماتها الخيرة والمعطاءة للأموال بسخاء ، هذه البعثات نشيطة جدا فى التبشير بالنصرانية فى افريقيا ، وقد أدى نشاطها هذا الى اعاقة سير الاسلام وانتشاره ، وذلك بسبب الهجمات الضارية على الاسلام ، أضف الى ذلك سكوت المسلمين وتقاعسهم عن مواجهة هذا الخطر الداهم .

وبالامكان معرفة رجحان كفة البعثات التبشيرية فى الوسائل المادية والدعاية من وجود (٣٥٪) من البعثات التبشيرية البروتستانتية فى العالم ، تعمل بنشاط فى افريقيا . كما أن الكاثوليك ليسوا أقل من البروتستانت فى هذا المجال . وان هذه الصورة المفزعة التى تبرز من افريقيا ، وتعرض لنا النقص المؤلم الذى يعانيه الاسلام في افريقيا ، من حيث ضآلة عدد جماعات الدعوة للاسلام وصغر حجم الامكانيات المرصودة من أجل ذلك . وأن هذا النقص ، مع ضخامة الامكانيات المضادة ، يشكل تهديدا كبيرا للاسلام والقوى الاسلامية فى افريقيا ، كما يشكل مسؤولية ضخمة لا يجوز التغافل عنها .

الايثـــار والتضحية

ومن مقال بهذا العنوان كتبت صحيفة الاهرام القاهرية تقول :

البذل والايثار والتضحية هى المعايير التى توزن بها انسانية الانســان ويعرف بها حظه من الخير .. ونصيبه من الفضل .

والبذل والايثار والتضحية هى العمـد التى تقوم عليهـا المجتمعات .. وتستظل بظلها الجماعات والامم . فلا تنضح نفس بخير .. الا بوحيها .. ولا يظهر فى الحياة عمل صالح الا من غرسها .. فهى (لحمة) ما بين الانسان وأهله من عواطف التواد والتراحم .. وهى (وصلة) ما بين الانسان ومجتمعه .

وقد جلت الامة العربية معالم هذه الصفات .. وابرزت كرم خصائصها .. بما ظهر فيها — على مر التاريخ — من (فدائية) و (بذل) و (تضحية) .

فللأمة العربية فى جاهليتها واسلامها عدد عديد من الاجواد ، والابطال والفدائيين ممن أصبحوا مضرب المثل فى هذه الصفات .

وتستطيع الامة العربية أن تذكر من هؤلاء الابطال مئات ومئات لا تزال أسماؤهم وأعمالهم تملأ الاسماع .. وتثير مواطن الاعجاب .

لقد كانت حياة الامة العربية فى جاهليتهـا تدور على هذه الصفات .. فلا مجد لمن لم يأخذ بنصيبه منها .. ولا شرف لمن خذلته وتخلت عنه ..

وجاء الاسلام فزكى هذه الصفات الكريمة ..

وتولاها بأسلوبه الحكيم فصرفها الى الخير .. ورصدها على النفع العام .. وأصبحت رصيدا عظيما من القوى التى انتفع بها الاسلام فى نشر رسالته وحماية دولته .. وبناء مجتمعه المثالى الاول الذى لم تعرف الانسانية مجتمعا مثله .

وغنى عن البيان أن بذل النفس فى مواطن البذل هو غاية الغـايات فى الايثار والتضحية .. فليس بعد النفس عزيز ولا وراءها شىء يضن به ويحرص عليه .

وفى هذا المجال تظهر خفايا النفوس وتعرف معادن الرجال .. وتتكشف حقائق الافراد ..

أخبار العالم الإسلامي

اعداد : عبد المعطى بيومى

الكويت :

● صرح سمو الشيخ جابر الاحمد ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء بأن التزامات الكويت تجاه الدول العربية الشقيقة أمر ضرورى تحتمه المصلحة العربية العليا والمصير المشترك بغض النظر عن تأثير ذلك فى مشاريعنا الانمائية .

● عقد بالكويت مؤتمر وزراء العمل العرب ومؤتمر الصيادلة العرب ، وقد اتخذ كل من المؤتمرين عدة قرارات هامة لدعم التعاون العربى فى مجالى العمل والصيدلة .

● قام وفد لجنة التبرعات الشعبية الكويتية بتسليم التبرعات التى جمعتها اللجنة الى كل من العراق والاردن وسوريا والعربية المتحدة .

● تم اعداد جميع الدراسات لاقامة مصنع كبير للأسمدة بالكويت تساهم الكويت بتكاليفه التى تقدر بمليونى دينار وتساهم فيه العربية المتحدة بتوريد الخامات وتوفير الخبرات الفنية كما اتفق على انشاء خط ملاحى بين البلدين .

● سيقوم سمو أمير البلاد المعظم بزيارة العراق عقب مؤتمر القمة العربى الخامس .

● سيزور معالى الشيخ سعد العبد الله السالم كلا من باريس ولندن والهند على رأس وفد عسكرى وينتظر أن تسفر نتائج هامة .

● سيقوم سمو أمير البلاد المعظم بزيارة لايران فى العاشر من يناير القادم .

● صرح أمير البلاد المعظم لمجلة السياسة الكويتية .. أن على الدول العربية أن تقف صامدة وعلينا أن نضحى مهما كانت التضحية .

الجمهورية العربية المتحدة :

● ألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا فى ٢٣ نوفمبر الماضى أوضح فيه أنه لن يكون تصرف فى القضية الفلسطينية الا للشعب الفلسطينى ، وان مرور اسرائيل فى قناة السويس جزء من قضية فلسطين ، وان الحرب ضرورة ان لم تنسحب اسرائيل .

● صدر قرار جمهورى باعادة تنظيم الأزهر وينص على احداث بعض التعديلات على نظم وسنى الدراسة فى القسمين الاعدادى والثانوى .

● أصدر وزير الشباب قرارا بايقاف كل نشاط فى النوادى الرياضية أثناء صلاة الجمعة .

● أهدى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية مكتبات اسلامية الى الهيئات والجمعيات والوزارات الدينية فى ٢١ دولة اسلامية .

● وزعت وزارة الأوقاف مبلغ ١٩٠٠ جنيه مصرى مكافآت للذين نجحوا فى حفظ القرآن من الاطفال التى تقل سنهم عن ١٢ سنة .

السعودية :

● يزور جلالة شاه ايران البلاد فى الثانى من فبراير .

● ابلغ جلالة الملك فيصل السيد حسن عباس زكى وزير الاقتصاد المصرى انـه قرر دفـع التزامات المملكة لازالة آثار العدوان بسعر الجنيه الاسترلينى قبل التخفيض .

● تم الاتفاق على انشاء بنك مصرى سعودى لدعم التعاون الاقتصادى بين البلدين .

● أرسلت رابطة العالم الاسـلامى الى المدرسة الدينية الاسلامية فى ممباسا بعض الكتب الدينية مساهمة منها فى نشر الوعى الاسلام .

العـــراق :

● صدر قرار بعدم اقامة الاحتفالات المعتادة فى عيد الفطر للظروف القائمة .

● أعلن الرئيس عارف عن تشكيل مجلس تشريعى بمثابة البرلمان وجهاز يشرف على اعمـال الحكومـة .

● قررت فرنسا بيع اسلحة للعراق منها ٧٣ طائرة مع منع تصدير الأسلحة الفرنسية لاسرائيل وقد احدث هذا القرار رد فعل فى اسرائيل والكونجرس الامريكى .

● صدر قرار بالغاء الرقابة على الصحف العراقية وانشاء مؤسسة الصحافة العراقية التى ستصدر خمس صحف يومية هى : الجمهورية . الثورة . المواطن . المساء . الاوبزرفر .

● من المنتظر أن يزور الرئيس الفرنسى ديجول العراق فى بداية العام القادم .

● تقرر اقامة معسكر دائم لتدريب الفلسطينيين على أعمال المقاومة والدفاع .

المغرب : سيجتمع مؤتمر القمة العربى الخامس فى مدينة الرباط ابتداء من ١٧ يناير ١٩٦٨ ، وسينضم اليهم السيد قحطان الشعبى رئيس جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية .

ليبيـا : زار البلاد السيد حسين الشافعى نائب رئيس العربية المتحدة وقد عقد اجتماعات هامة مع جلالة الملك ادريس والسيد البكوشى رئيس الوزراء .

● قامت وكالة المخابرات الامريكية خلال الأسابيع الأخيرة بالتعاون مع المخابرات الاسرائيلية بامداد المتمردين فى جنوب السودان بالسلاح واعدادهم فى بلد مجاور ويتوقع قيام هؤلاء بهجـوم واسع خلال الأسابيع القليلة القادمة .

● قبلت جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية عضوا فى كل من الأمم المتحدة وجامعـة الـدول العربية بالاجماع .

الأردن : صرح جلالة الملك حسين بأنه سيتجه الى الاتحاد السوفياتى لاستيراد السـلاح اذا استمرت الولايات المتحدة الامريكية فى موقفها من وقف تصدير السلاح للأردن .

● تصاعدت عمليات الفدائيين الفلسطينيين ضد الاحتلال الصهيونى واشتدت هجماتهم على المستعمرات الاسرائيلية خاصة .

● تقوم اسرائيل بطرد المواطنين العرب من الضفة الغربية لنهر الأردن الى الضفة الشرقية وقد قامت الأردن بابلاغ الأمم المتحدة .

● رفضت سوريا استقبال جونار يارنج ممثل الأمم المتحدة فى الشرق الاوسط .

لبنـــان : اعلن فى بيروت مجلس لقيادة الثورة الفلسطينية وقد بعث السيد أحمد الشقيرى رئيس منظمة التحرير يهنىء المجلس بوصفه القيادة الأمامية لمنظمة التحرير .

اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ـ ٧ شارع الصحافـة

مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـاض : مكتبة المدينة ـ ص‌ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح

الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص‌ب ٢٢

جـدة : الدار السعودية للنشر ـ ص. ب : ٢٠٤٣

بغـداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص‌ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عـدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد

المـكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـدودة

دبـى : ساحل عمان ـ ص‌ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ـ السيد رجا العيسـى

دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : مكتبـة بحـرى ص.ب ٥

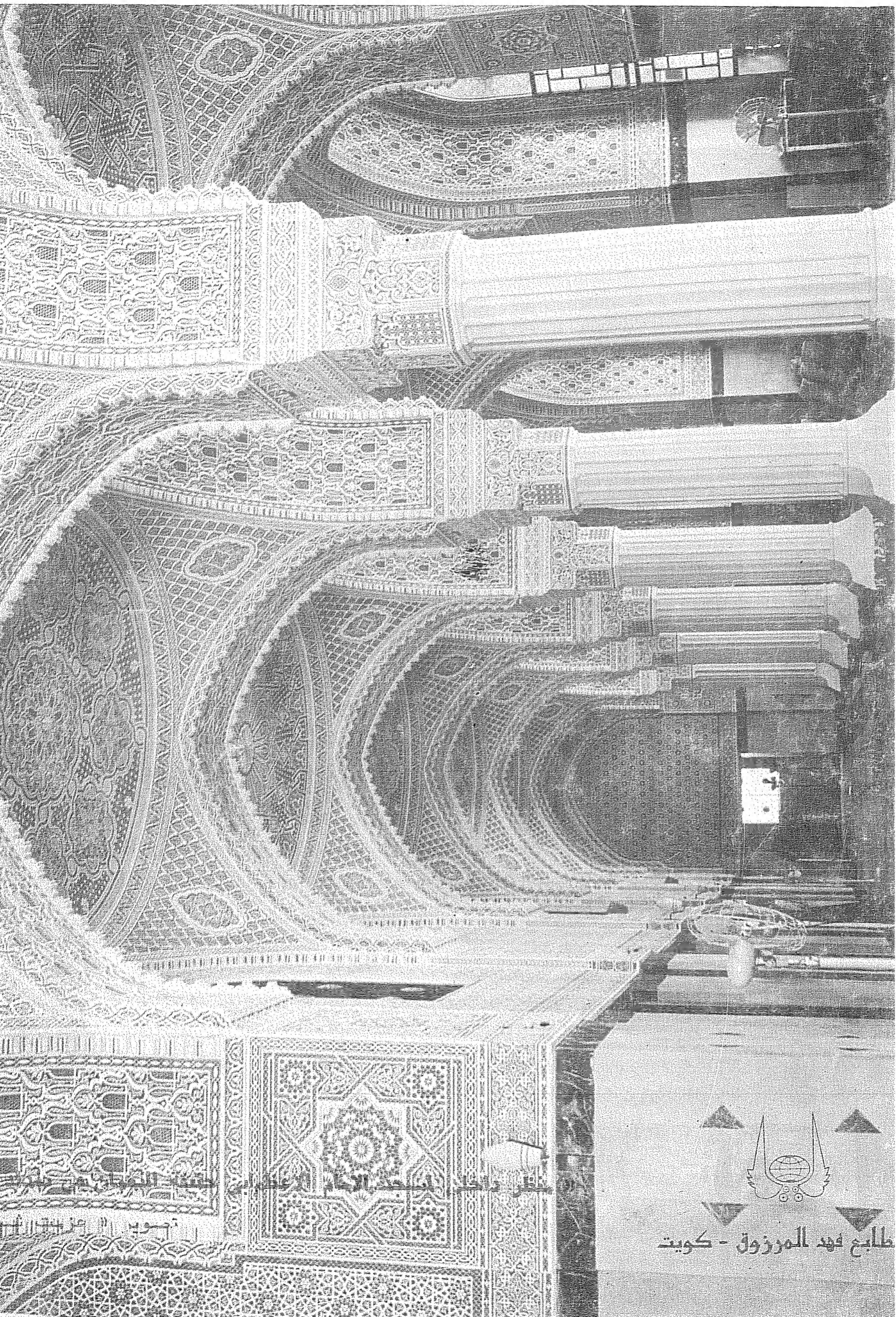
مراكـش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى

ليبـيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ـ السيد الشمالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة


مطابع فهد المرزوق - كويت